النكرة في سياق النفي وأثرها في تقرير المعنى في القرآن الكريم

هادي غالي رضا الدخيلي
الكلية التربوية المفتوحة - مركز ذي قار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

النفي كما هو معلوم ، الإبطال والعدم ، وهو عند البيانين ، أسلوب نقض وإنكار،يستعمل لإزالة ما في ذهن المخاطب من اقتناع بشيء . فابن عباس في قوله (لا يصلحُ الهجاء) الذي خاطب به الحطيئة ، كما جاء في كتب الموروث الأدبي ، إنما أراد نقض ما استقر في ذهن مخاطبه من صلاح الهجاء وفائدته .

فجمله (لا يصُلحُ الهجاءُ) التي أراد ابن عبّاس أن ينفي بها (الهجاء)،وهو غرض من أغراض الشعر المعروفة ، صفة الصلاح ، ويحذر الحطيئة المعروف بسلاطة لسانه ، الا يتمادى فيه ، لما قد يجره ذلك إلى ذم أناس لا جريرةَ لهم ، الا أنّهم أقارب المهجو .

النفي الذي يعرفه الدارس فيما مرّ مفرقاً على أبواب النحووموضوعاته،

فدراسة الأساليب في النحو أذن من شأنها أن تجمع ما تفرق من الموضوع النحوي في مكان واحد ، كما أنها تعنى الدلالات الجمل ووظائف المفردات ، فتكسب دروس النحو شيئاً من الطرافة ، قد تخرجه عنها الدراسة النحوية التقليدية .

ولذا جاءت هذه الدراسة الموسومة النكرة في سياق النفي وأثرها في تقرير المعنى في القُرآن الكريم لتحقق الغرض الذي جاءت من اجله وهو خدمة لغتنا الكريمة وتبصير أبنائنا بما لها من روعة في الأداء ، ودقة في التعبير ومن الثابت أنّ ألفاظ القُرآن الكريم غنّية بالمعاني لما لها من موروث دلالي يتصرف فيه القُرآن في سياقاته المختلفة ، فيفيض عليها دلالات جديدة ، فهذه الألفاظ قد وُضعت في سياق القرآن الكريم وضعاً إعجازياً ، بحيث إن اللفظ قد وضع للمعنى المقرر له ، (فالتعبير القُرآني تعبير فنّي مقصود ، كلّ لفظةٍ بل كلّ حرف فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً ، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآية وحدها ، ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الوضع التعبير (القُرآني كلّه)[١]. (وقد كان القُرآن دقيقاً في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته ، فإذا اختار اللفظة معرفة كان ذلك لسبب ، وإذا انتقاه نكرةً كان ذلك لغرض ، وهكذا دائماً :

لكلّ مُقامٍ مقال في التعبير القُرآني)[٢] وقد يظنّ ظانٌّ أن المعرفة أجلى ، فهي من النكرة أولى ، وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار منصوص ، نجد أن المعرفة ، فإنها لواحد بعينهِ ، يُثبت الذهن عنده ويسكن إليه)[٣]

(فاللفظ القُرآني ذو سمة خاصة ، فقد لفت مدار الإعجاز عند الغزالي ، فما من كلمةٍ في القرآن الكريم الا وتحقيقها يحوج إلى انقضاء العمر في استيفاء إدراكها)[٤]

ومن هنا نجد عناية القُرآن الكريم باللفظة المستعملة فيه ، فالكلمة في جملةٍ بمنزلة الفريدة في حَبّ العِقد ، فلا يقع مثلها لمخلوق ولا يستطيع احد الإتيان بمثلها، وقد تكون الكلمة أحوالها مختلفة بالإضافة الى استعمالاتها ، فتارة يفضّل القُرآن الكريم استعمالها نكرةً ، ويُكرهُ استعمالها معرفة ، والعكس . وهذه الحقيقة هي التي اسعى جاهداً في هذا المبحث إثباتها وتوضيحها .

أدوات النفي ـ لا النافية للجنس ـ

بادئ ذي بدء ، أن أقوى أدوات النفي عند غالبية النُحاة ، هي ـ لا النافية للجنس ـ ، لأنَّ النفي بها اقطع ، وان النفي بها يجري مجرى العموم في معناها الاعتباري قال تعالى : ((فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ)) (البقرة ـ ١٩٧) وسأعرض لهذه الآية الكريمة والخلاف النحوي الذي جرى فيها والعطف الذي جرى في سياقها ، كما أنها من آيات الأحكام الذي يترتب عليها اثر التكاليف عند العبد .

غير أن صاحب (المغني) يرى في ـ لا النافية للجنس ـ وجوهاً ثلاثة: اولها : أن تكون نافية ، وهي على خمسة أوجه :

الثاني : أن تكون عاملة عمل إنّ ، وذلك إنْ أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص ، وتسمى حينئذٍ تبرئة ، وإنما يظهر نصب اسمها إذا كان خافضاً نحو:(لا صاحبَ جُودٍ مذمومٌ)

وتخالف ـ لا ـ هذه إنَّ من سبعة أوجه :احدها في النكرات .

الثاني : أن اسمها إذا لم يكن عاملاً فإنّه يُبنى ، قيل لتضمنه معنى من الاستغراقية ، وقيل : لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ، وبناؤه على ما ينصب به لو كان معرباً فيبنى على الفتح في نحو (لا رَجُلَ ، ولا رجالَ)

وفيه : قَالَ تعالى : ((لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)) (يوسف: ١٢) ((قالوا لا ضيرَ)) و ((لا قائمين)) ومثل لا رجل عند الفراء : (لا جَرَمَ) نحو : ((لا جَرمَ أنَّ لهمُ النّار)) (النحل:٦٢) والمعنى عنده لا بدَّ من كذا أولا محالة في كذا ، فحذفت ((من)) أو ((في)) وقال قطرب (لا) ردَّ لما قبلها ، أي ليس الأمر كما وصفوا ، ثم ابتدىء بما بعده ، وَجرمَ : فعل ، لا اسم ورده الفراء بان (لا) لا تزاد في أول الكلام[٥].

ونقل الزجاج عن سيبويه قولاً في (لا جرَمَ إنما تذرونني إليه ليس له دعوة في الدنيا والآخرة)) يعني انه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا الآخرة .

قال سبيويه (سألت الخليل عن قوله : (لا جَرمَ) فقال : لا جَرمَ ، ردٌ لكِلام والمعنى وجب أنّ لهم النار ، وحقّ أن لهم النار وانشد :

لقد طعنتُ أبا عيينةَ طعنةً
جَرَمتْ فزارة بعدها آن يغضبوا .

والمعنى كسبتم الغضب وأحقتهم بالغضب بمعنى ، (لا جَرَمَ ما تدعونني اليه) لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة أي وجب بطلان دعوته)[٦]

وقد وردت عبارة (لا جَرَمَ) في سورة النحل في أكثر من موضع لا تخرج عن كسب أو جني كما أشار الراغب في مفرداته وقال تعالى:((لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)) (النحل: ٢٣).

وقال تعالى : ((لاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) النحل : ١٠٩

أي (أن لهم النار) كافة : قال : كسب لنفسه النار[٧]. وفي تساؤل يرى الفخر الرازي : لم قال : ((لا رَيْبَ فِيهِ)) البقرة: الآية٢ وفي موضع أخر ((لا فِيهَا غَوْلٌ)) (الصافات : ٤٧) ؟ الجواب ، لأنهم يقدمون الأهم فألاهم وههنا الأهم نفي الرّيب بالكلية عن الكتاب ، ولو قلت : لا فيه ريب ، لأوهم أن هناك كتاباً أخر حصل الريب فيه فـ(لا) ها هنا كما قصد في قوله ((لا فيها غول)) تفضيل خمرة الجنّة على خمور الدّنيا ، فإنها تغتّال العقول كما تغتالها خمرة الدّنيا السؤال الثالث : من أين يدل قوله : ((لا ريبَ)) على نفي الكلية ؟ : قرأ أبو الشعثاء ((لا ريب فيه)) بالرفع . والحكم أن القراءة المشهورة توجب ارتفاع الرّيب بالكلية والدليل عليه أن قوله : ((لا ريب فيه)) نفي لماهية الريب ونفي الماهية يقتضي نفي كلّ فرد من افراد الماهية ، لأنّه لو ثبت فرد من أفراد الماهية لثبتت الماهية ، وذلك يناقض نفي الماهية ، ولهذا السرّ كان قولنا ((لا إله إلا الله)) نفياً لجميع الآلهة سوى الله تعالى : وأما قولنا : (لا ريب فيه) بالرفع فهو نقيض لقولنا (لا ريب فيه) فهو يفيد ثبوت فرد واحد ، فذلك النفي يوجب انتفاء جميع الأفراد ليحقق التناقض)[٨]

وكما أنّها تعمل في النكرات دون المعارف بخلاف ـ إنّ ـ (إنما لم تعمل في المعرفة ، لان وجه المشابهة ، وهو كونها لنفي الجنس ، ولم يكن حصوله فيها مع دخولها المعرفة إذْ ليس المعرفة لفظ ، حتى ينتفي الجنس بانتفائها)[٩].

ومن الملاحظ ان تبرئتها ومبالغتها هي في نفي الجنس ، فإنّ الآية الكريمة في قوله تعالى: ((فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)) (البقرة : ١٩٧).

يقف عند هذا المفهوم ، صاحب الكشف عن وجوه القراءات ـ (وبناءً على قراءة الأعرج بالفتح من غير تنوين ، ووجه القراءة بالفتح من غير تنوين : انه أتى بـ ((لا)) للنفي لتدل على النفي العام ، والمقصود في الآية نفي جميع الّرفث والفسوق ، فكان الفتح أولى به لتضمنه عموم الرّفث كلّه والفسوق كلّه،لأنه لم يرخص في ضرب الرّفث ولا في ضرب من الفسوق كما لم يرخص في ضربٍ من الجدال ولا يدل على هذا المعنى الاّ الفتح لأنه

للنفي العام ، وإجماع القُراء على الفتح (ولا جدالَ) يقّوي فتح ما قبله ليكون الكلام على نظام واحد في عموم المنفي كله في الأسماء الثلاثة في موضع رفع كلّ واحد مع (لا) . (في الحج) خبر عن جميعها)[١٠]

وكما أن ، (الرّفث) يُكنى به عن الجماع ، فقد ذكر الراغب في مفرداته الفسق (فَسَقَ فلان : خرج عن حَجْر الّشرع ، وذلك قولهم : فسقَ الرُّطبُ ، اذا خرجَ عن قِشره ، وهو أعمّ من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير،لكن تُعورفَ فيما كان كثيراً ، أكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حُكم الشرع وأقرَّ به ، ثمّ أخلَّ بجميع احكامه او ببعضه ، واذا قيل للكافر الاصلي : فاسق ، لأنّهُ أخلَّ بحكم ما الزمه العقل واقتضتْه الفطرةُ ، قال تعالى: ((فَفَسَقَ عن أمرِ ربَّهِ)) (الكهف: ٥٠)[١١]

وكما اسلفت في اول المبحث أن هذه الآية الكريمة من آيات الاحكام ،كان لزاماً على المسلم ان يمتثل لامر الشارع في الطاعة لاوامره تعالى ، لان الحج عبادة لا اِستجمامَ او سياحة او عبث او تجارة ، ولهذا اجمع الفقهاء على انه لا جدال في الحج الاّ الجدال العلميّ ، لان من اعظم الملكات عند الله ملكة الحياء والعلم، وبهما يرقى العبدُ الى ربّه والعمل الصالح يرفعه .

وقد يكون النفي بـ (لا) النافية للجنس اعتبارياً ، فالحديث المرّوي عن الرّسول (ص) هو مصداقُ على ذلك : (لا قولَ الاّ بعملٍ ، ولا قول ولا عمل إلاّ بنيّةٍ ، ولا قول ولا عمل ولا نيّة اِلاّ بإصابة السنّة)[١٢]

(ولا) هنا نافية للجنس ، لأنّ اسمها مبنيّ على الفتح ، وهي تختلف في ادائها ومدلولها عن (لا) المشبّهة بـ (ليس) في كون النافية للجَنس تنفي جنس الشيء ، وهو العمل في المقام ، وهذا معناه ان العمل وغير العمل سيّان ان لم يكن العمل مصحوباً بنيّة حسنة ، وليس المقصود نفي الحقيقة والواقع الخارجي بل نفي الاعتبار. فمن واصل الدّراسة لمدة عشرين او ثلاثين سنةً حتى بلغ مرحلة الاجتهاد ، انما يعبرّ عن وجود همّةٍ صاحبُها رجل مثابر، إذاً فكيف لا يعد كلّ ما بذله من جهدٍ عملاً؟ وهكذا من بذل إطعاماً او القى خطاباً إذاً استوجب مدح الناس واعجابهم ، كيف. قال عمّا صدر عنه أنّه لم يكن عملاً ؟ لا شكّ ان المقصود هو نفي الاعتبار وليس الحقيقة . وتوضيح ذلك بمثال: لو أنّ شخصاً ألفَ كتاباً ضخماً واتعب نفسه في تاليفه ثمَّ قدّمه لعالمٍ والتمسه ان يكتب له تقريضاً ولكن العالم اكتشف بعد مطّالعته الكتاب أنّه لا قيمة له من الناحية العلمية والموضوعية،واعتذر لصاحبه عن كتابه التقريظ قائلاً: إنّ هذا ليس بكتابٍ أصلاً فماذا يُفهم ؟ هل نفى الواقع المادّي الملموس للكتاب ككتاب مؤلف من اوراق كُتب عليها عبارات وخطوط أمْ نفى توفّر الكتاب على الشروط التي يستحق بها ان يسمى كتاباً كما ينبغي .

واذا اتّضح هذا المثال نقول: (هكذا يجب أن نفهم مراد الاحاديث الشريفة التي تقول: (إنّه لا عمل إلاّ بنيّة)[١٣]

وفي شهادة تكبيرة الآذان : ((أشهدُ أَنْ لا اِلهَ إلاّ الله)) يتجلى النفي المطلق في أولى الشهادتين ، ولفظة : (إله) وإن وقعت في سياق النفي ، فهي ليست من المثلية والسنخية ولا الشيئية التي يُراد نَفْيها بل هي الايجاب المطلق ، وهي الوحيدة مع أخياتها في القُرآن الكريم ، كجملة (الله اكبر) التي يَنتفي فيها افضل (افعل) والآية الكريمة : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء) (الشورى : ١١)

فالنفي في هذه الشهادة (لا اله اِلاّ الله) بيانٌ ما بعده بيان ، هي الكلمة الوحيدة كما اسلفت التي تكون قد سبقها نفي الشيء ، وان يكون فيها النفي قبل الاثبات . وهي كلمة الله قال تعالى : ((وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا)) (التوبة: الآية ٤٠)

اي لا اله إلاّ الله . ومثلما تنفي المثلية والشيئية عن الله عزّ وجل ، فهي تنفي كلّ حاكمية غير حاكمية الله جلّت قدرته ، وهي كذلك بهذا اللحاظ تنفي الطاغوت ، وكلّ مَنْ يحكم إلا باذن الله تعالى ، ونفي كلّ ولاية غير ولاية الله جلّ جلاله ، وتعزّز ولاية الوهية الله على الانسان .

وكما هي امة واحدة ، كما اخبرنا القُرآن الكريم : ((إنَّ هذِهِ أُمّتكمُ أُمَّةً واحِدة وأنَا رَبُّكمُ فاتَّقوُنِ)) (المؤمنون : ٥٢)

فالولاء واحد لله تعالى ، وهو مصدر كلّ ولاء قال تعالى : ((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة:٥٦)

ومما تقدم يتضح ، ان الولاء لله تعالى نسيجٌ واحد ، وليس انسجةً متعددة ، كما ان القُرآن يجمعنا في نسيجٍ واحد يدخل في هذا اللحاظ وان براءة واحدة ، كما هيَ ولاية واحدة ممن يعبدون من دون الله تعالى .

وفي ملحظ آخر ، نرى ، أنّ الاسلام يدور مدار الشهادتين ، روي سماعةُ عن الصادق (ع) : (الاسلام شهادة أنْ لا إله إلا الله ، والتصديق برسول الله ، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث)[14]

وروى ابو هريرة ان رسول الله (ص) قال : ((أمرتُ ان اقاتل الناس حتّى يقولوا لا اِله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله))

صحيح البخاري باب فعَل مَنْ أب قبول الفرائض الجزء ٨ ص ٥٠ رقم الحديث :١٣١٢ ورواها مسلم وأبو داود [15] وابن ماجه [16] والترمذي [17] والنسائي [18] .

ـ ما ـ النافية

تحتل (ما) النافية مساحة كبيرة في الجملة العربية ، ولا سيما في الآيات القُرآنية الكريمة وقد تأوّلها النحويون لمعانٍ كثيرة ، الا انهم في اجماع يؤكدون نفيها للحال ، والذي يهمنا في هذا المبحث وقوع (النكرة في سياق نفيها سواء اكانت الحرفية منها او الاسمية او التي تؤول بالمصدر او ما تقع في المبهمات كما سياتي الحديث عنها

يقول صاحب شرح المفصل : ((ومن اصناف الحروف حرف النفي .. (ما) لنفي الحال .

قال صاحب الكتاب : (وهي ما ، ولم ، ولا ، ولن ، وإن ، فـ (ما) لنفي الحال في قولك ما يفعل وما زيدٌ منطلق او منطلقاً على اللغتين ، ونفي الماضي المقرب من الحال في قولك : ما فعل قال سيبويه إما (ما) فهي نفي لقول القائل هو يفعل اذا كان في فعل حال ، واذا قال لقد فعل فان نفيه ما فعل فكأنه قيل والله ما فعل)[19].

بعد هذه المقدمة لـ (ما) النافية سأتعرض للآيات الكريمة التي وقعت النكرة في سياق ـ ما ـ واثر هذا النفي في تقرير المعنى ، لان اللفظة تعيش وتزدحم في سياق المعنى قال تعالى : ((مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ))(ق:١٨) فالله تعالى حافظ لعمله ، حاضرُ معه ،

لانه الرقيب العتيد[20].ففي الآية الكريمة توجيه اجتماعي شرعي في مسؤولية الكلمة التي يبيعها الإنسان المكلف فيشتري الدنيا ويبيع الآخرة في كلّ يوم بالكذب والنفاق ، والرّبا ، والزّور ، ورمي المحصنات ، وينتهك بها حرمة الآخرين .

ومن الجدير بالذكر ، ان الكلمة تصدر عن الانسان ، ويلفظها لشديد الاعمال، إنّه الانسان وما يصدر من عمل يُجلُ من قبل المتلقين ، فيهما يلتقيان في هذا الذي يصدر من الانسان الفعّال قال تعالى : ((وَأنْ لّيسَ للإنسان اِلاّ ما سَعى)) (النجم:٣٩). وهذا السعي يحاسب عليه الانسان ، سلباً او ايجاباً وهذا من انواع الرقابة المباشرة ، وبواسطة الملكين ، والرقابة من الانسان على نفسه ، لان الانسان في ضوء ذلك يكون

حجّة على نفسه ، فهو يُراقب نفسه وما يظهر امامه بلا حجاب ، وهذه هي الإحاطة والرقابة الإلهية والسيطرة والرَقابة على نفسه فهناك تخصيص من الإنسان ، لكل ما يصدر فيه ، وبعد ذلك يكون إعطاؤه الجزاء . وثمّة ملحظ لغوي ، أشار إليه صاحب البرهان في علوم القرآن (قال الحذّاق في قوله تعالى : ((ما يُلفَظُ منَ قولٍ)) انه لو عكس فقيل : (ما يقول من لفظ) لم يجز ، لان القول اخص من اللفظ ، لاختصاصيه بالمستقبل ، واللفظ يشمل المهمل الذي لا معنى له)[21].

وقوله عزّ وجلّ : ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ)) (آل عمران : ١٦١)

وقرئ : (أَنْ يُغَلَّ) أي : ينسب إلى الخِيانة مِنْ أغْلَلْتهُ . قال ((ومَنْ يَغْلُلْ يأت بما غَلَّ يوم القيامة) (آل عمران :١٦١) . وروي ((لا إغْلال ولا إسْلال)) أي لا خيانة ولاَ سرقة [22]

((وأنْ يُغلَّ)) قرءا جميعاً فمن قرأ : (أنّ يُغَل) فالمعنى : ما كان لِنبيٍّ أن يخون أمته وتفسير ذلك أنَّ النبيّ (ص) جمع الغنائم في غزوة ، فجاءَه جماعة من المسلمين فقالوا : ألا تقسم بيْننا غنائمنا فقال (ص) لو أن لكم عندي مثلَ أُحد ذهباً ما منعتكم دْرهماً أترونني أغْلكم مغْنمكمْ ، ويروى عن النبيِّ (ص) أنّه قال: (ألا لا أعرِفَنَّ رجلاً يأتي يومَ القيامة ومعه شاة قد غَلّها لها ثغاء ، ألا لا أعرْفَنَّ رجلاً يأتي ومعه بعير قد غلّه له رُغَاء ، ألا لا أعَرِفنِّ رجلاً يأتي يوم القيامة ومعه فرس قد غلّه له حَمْحَمة)[23]

وفي ذكر المناسبة لهذه الآية الكريمة ما يلقي الضوء على جوانب كثيرة في شخص الرسول الأعظم (ص) ويُبدد الظلامية لما فتح به الباب الأولن ، وتابعهم اللاحقون فيما قدحوا ويقدحون في شخص النبيّ الكريم الأمين (ص) ولو أغلق الباب على مصراعيه لما حصل ذلك ، وهذه من المشاكل التي اتخذها المتقوّلون في سيرته

العطرة (ص) فقد ذكر الو احدي في أسباب النزول ما نصه : (قال : حدثنا وكيع عن سلمه ، عن الضحاك ، قال : بعث رسول الله (ص) طلائع غنيمة وقسمها بين الناس ولم يقسم للطلائع شيئاً ، فلما قدمت الطلائع ، قال قسم الفيء ، ولمْ يقسم لنا ، فنزلت : (وما كان لنبيٍّ أن يغلَّ) ... وقال

ابن عباس في رواية الضحّاك : إن رسول الله (ص) لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حُنين ، غلّه رجلٌ بمخيط ، فانزل الله تعالى هذه الآية . وقال قتادة : نزلت وقد غلّ طوائف من أصحابه . وقال الكلبي ومقاتل : نزلت حين ترك الرّماة المركز يوم أحد طلباً للغنيمة ، وقالوا : نخشى أن يقول رسول الله (ص) مَنْ اخذ شيئاً فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال النبيّ (ص) : (لا ظننتم أنّا نغلّ ولا نقسم لكم) فانزل الله تعالى هذه الآية[٢٤]

ومن الملاحظ ، أن لفظة (لنبيّ) لم تعرّف أو تخصص ، إنّما أشيعت على التنكير لكي تنفي عن كلّ نبيّ ، الخيانة ، لأنّ الأنبياء عليهم السلام في مصداق واحد فكما ان مصداقهم في التوحيد واحد ، كذلك مصداقهم في الأخلاق والسلوك واحد ، فلم يصحَّ عنهم أن غلّوا في أقوامهم ، فهم الأمانة في مساحة الأمم التي بعثوا إليها في الرسالات والشرائع . غيرَ انّ ، مشكلَ القدح في شخص الرسول الأعظم (ص) لمّا يزل في عصرنا هذا لما يتحذلق فيه المتنطعون في هدف القول ، ولعمري انّ الرسول الكريم كان يحلّ المشكل في حياته فتنزل الآية الكريمة ، فتبرا ساحتهُ من القدح ، كما حصل في حديث (الأفك) في زوج الرسول (ص) أما بعد وفاته ، فعلنا نحن المسلمون المكلفون في شريعة الله ولهذا نجد الآية الكريمة : من سورة الحاقّة :: ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)) ٤٤ ـ ٤٦ والمراد من الآية الكريمة أنّ محمداً الذي أثبتنا نبوته وأظهرنا المعجزة لتصديقه ، لا يمكن أن يتقوّل علينا بعض الأقاويل ولو صح ذلك لأخذنا منه باليمين ولقطعنا منه الوتين ، فان سكوتنا عن هذه الأقاويل إمضاء مالها ، وإدخال للباطل في شريعته ، فيجب علينا حفظ الشريعة في مرحلة البقاء كما وجب علينا في مرحلة الحدوث)[25]

وفي قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)) (الأنفال: من الآية٦٧) وفي هذه الآية الكريمة جملة مضامين سأعرض لها وبشيءٍ من الايجاز منها الرّوايات التي أوردها الواحدي في أسباب النزول ، وهي لا تخرج عن القتل للأسرى في بدر ، أو النداء أو الغَنيمة[26]ومن المضامين الأخرى رفع التقريع والعتاب عن النبيّ الأعظم (ص) وهذه ظاهرة أخرى بارزة في القُرآن الكريم تستلفت الانتباه كثيراً تخضع فيها الذات النبويةً لعتابٍ وتقريع على عمل خلاف الأولى ، مما كان ينبغي أنْ لا يصدر عن النبيّ ، أو كان من الميل إلى الخيار الإلهي الأكثر عافية لأقوامهم . ولنتأمل في هذه الآيات المباركات : قال تعالى : ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)) (التوبة:٤٣) ، وقال تعالى ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي

قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)) (التوبة:١١٣) .

قال تعالى ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (الأنفال: ٦٨ ـ٦٧)[27]

والتي نحن بصدد مضامين النفي الذي جرى في سياقها بـ (ما) .

وقوله تعالى : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً فقوله:((ما كان لمؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ)) أي ما صحَّ ولا حقَّ لأحدٍ من المؤمنين ولا المؤمنات أنْ يثبتَ لهم الاختيار من أمرهم بحيث يختارون ما شاءوا وقوله تعالى ((اذا قضى الله ورسوله أمراً)) ظرف لنفي الاختيار ، وضمير الجمع في قوله تعالى: (لهُم الخِيرة في امرهم) للمؤمن والمؤمنةِ والمراد بهما جميع المؤمنين والمؤمنات لوقوعها في حَيّز النفي ، ووضع الظاهر موضع المضمر حيث قيل : ((من أمرهم)) ولمْ يقل: أن يكون الخيرة فيه للدلالةِ على منشأ توهم الخِيرة ، وهو انتساب الأمر إليهم)[28].

وفي قوله تعالى ((مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (التوبة:٩١).

فقد نفت (ما) في الآية الكريمة ، السبيل ، وهو في رأي بعض الفقهاء الضمان على ما يحسنون به ، فقد ذكر صاحب الميزان تعليلاً في أول الآية الكريمة ، وهو نفي الحرج عن الطوائف التي أشار أليها قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)(التوبة: من الآية٩١) والمراد بالضعفاء بدلالة سياق الآية : الذين لا قوة لهم على الجهاد بحسب الطبع . كما أن المرضى لا قوة لهم عليه بحسب عارضي مزاجي ، ولا الذين لا يجدون ما ينفُقون لا قوة لهم عليه من جهة فقد المالِ ونحوه .

وقد قيّد الله تعالى رفع الحرج عنهم بقوله: ((إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)(التوبة:الآية٩١)) .

ففي السبيل كناية عن كونهم في مأمنٍ فما يُصيبهم من مكروه كأنهم في حصنٍ حصينٍ لا طريقٍ إلى داخله يسلكُه الشرَ اليها فيصيبهم من مكروه ، والجملة عامة بحسب المعنى ، وان كان مورد التطبيق خاصاً)[٢٩].

وذهب الجمهور من كلّ الطوائف إلى عدم الضمان ولزومه وان كان المكلف مأموراً بالوفاء به ديانةً ، لأنه تفضلٌ وإحسان ، وكلما التزم المكلف من الأعمال مع الله ومع غيره ، ومنه قوله تعالى ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)) (البقرة:الآية٤٠) .

أي أوفوا بما ضمنتم أوف بما ضمنتُ لكم الجنة : ومثله ((وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)[٣٠]الاسراء: الآية٣٤)

ويتضح مما سبق أن الضمان الذي نفي بالفعل ـ ليس ـ في صدر الآية الكريمة والأصناف الذين رفع عنهم الحرج كما أسلفنا ، ونفي السبيل الذي هو نكرة رفع في سياق وبه تقرر المعنى ، لأنهم محسنون بالنيّة ، ولأنّهم : ((اذا نصحوا الله ورسوله)) ثم إن من الواضح أن العهد لغةً : هو الالتزام ، فقد استعمل العهد مع مشتقاته في القُرآن

الكريم في أكثر من مائة وخمسين موضعاً ، وفي كلّ موضع دلّ على إلزامية العهد إن ما ذكرت كتب اللغة عن معنى العهد هو ((ما التزمه المكلف من الأعمال مع

الله تعالى ومع غيره))[٣١]. فالآية الكريمة: ((مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ)) تؤكد أن ليس لأحد أن يؤاخذ المحسنين ، ويحاسبهم إذا بذلوا ما هو في طاقتهم ولم يقصروا فيه ، وأصبحت هذه القاعدة من القواعد الشرعية التي اعتمد عليها الفقهاء في عدم مؤاخذة المحسن في كّل الأعمال التي يجريها على الوجه الشرعي وبدواعٍ وإحكام مشروعة . إن السنّه الجارية في الأنبياء الماضين (ع) أنهم كانوا إذا حاربوا أعداءهم وظفروا بهم ينكلونهم بالقتل ليعتبر بهم من وراءهم فيكفّوا عن محادّة الله ورسوله، وكانوا لا يأخذون أسرى حتّى يثخنوا في الأرض، ويستقر دينهم بين النّاس فلا مانع بعد ذلك من الأسر ثم المنّ أو الفداء كما قال تعالى فيما يوحي الى نبيه (ص) بعدما علا أمر الإسلام واستقر في الحجاز واليمن: ((فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)) (محمد: الآية٤) والعتاب يهدي إليه سياق الكلام في الآية الأولى انما هو أخذهم الأسرى كما يشهد به ايضا قوله تعالى في الآية الثانية:((لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)) أي في أخذكم وإنمّا كانوا اخذوا عند نزول الآيات الأسرى دون الفداء وليس العتاب على استباحة الفداء أو أخذه كما احتمل بل يشهد قوله في الآية التالية: ((فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم)) إذ افتتحت بفاء التفريع ألتي تفرّع منها على ما تقدّمها :- على أن المراد بالغنيمة ما يعمّ الفداء ، وأنهم اقترحوا على النبيّ (ص) أن لا يقتل الأسرى ويأخذ منهم الفداء كما سألوه عن الأنفال أو سألوه أن يعطيهموها كما في أية صدر السورة ، وكيف يتصوّر أن يسألوه الأنفال ، ولا يسألوه أن يأخذ الفداء وقد كان الفداء المأخوذ - على ما في الروايات - يقرب من مائتين وثمانين إلف درهم)[٣٢](وتشاور القوم فيما بينهم .. وظل المسلمون في تشاورهم زمناً انتهوا بعده قبول الفداء وفي قبولهم نزلت هذه الآية الكريمة ، كما يرى محمد حسين هيكل : (حياة محمد) وحين يستذكر المحللون السياسيون والمؤرخون الأنموذج الديمقراطي ألاثني ، ومبدأ الحوادث الديمقراطية العامة ، فإنهم - بلا شك - يتجاهلون ذلك الانموذج الصغير بالقياس إلى الأنموذج الإسلامي فقد كان القائد محمد (ص) عائشاً في وسط جماعة المسلمين كأي واحد منهم وكان المسجد المكان الذي يتساوى فيه المجتمع في عرض الآراء ومحمد (ص) نبراساً يُهتدى به [٣٣].

وقوله تعالى ((مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)) (الملك: من الآية٣) قال الراغب : الفوت بعد الشيء عن الإنسان ، بحيث يتعذر إدراكه فيه ، قال ((وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ)) (الممتحنة: الآية١١)[٣٤]قال التفاوت الاختلاف في الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدكما الآخر أو وصف كلّ واحد منهما الآخر ، قال تعالى: ((مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)) (الملك: من الآية٣) أي ليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمة[٣٥]. والمراد بنفي التفاوت اتصال التدبير وارتباط الأشياء بعضها ببعض من حيث الغايات والمنافع المترتبة على تفاعل بعضها في البعض

فاصطكاك الأسباب المختلفة في الخلقة وتنازعها كتشاجر كفّتي الميزان وتصارعها بالثقل والخفّه والارتفاع والانخفاض فإنها في عين أنهما تختلفان في إعانة من بيده الميزان فيما يريده من تشخيص وزن السلعة الموزونة . فقد رتب الله أجزاء الخلقة بحيث تؤدي إلى مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغاية المطلوبة .

والخطاب في (ما ترى) خطاب عامّ لكلّ من يمكنه الرّؤية وفي إضافة الخلق إلى الرحمن ، إشارة إلى الغاية منه ، التي هي الرحمة العامة ، وتنكير (التفاوت) وهو في سياق النفي وإدخال (من) عليه لإفادة العموم)[٣٦]

ومن المضامين الأخرى التي وقعت في سياق ، لفظة ، ((حتّى يُثخنَ)) والتي شرحها الراغب في مفرداته لهذه الاية الكريمة من سورة الأنفال: ((يقال ثخن الشيء : اذا غَلظ فلم يسلْ ، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قُولـــهم: اثخنتهُ ضرباً واستخفافا: ((ما كان لنبيّ ان يكون له اسرى حتّى يُثخن في الارض)) الانفال: ٦٧ ((حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ)) محمد:٤ [٣٧]

وقد أفاض السيد محمد حسين الطباطبائي ، في تفسير الميزان ، إفاضة بقوله :((المراد بإثخان النبيّ في الأرض استقرار دينه بين الناس كأنه شيءً غليظ أنجمد فثبت ، بعدما كان رقيقاً سائلاً مخشيّ الزوال بالسيلان والعرض ما يطرأ على الشيء فيه الزوال ، ولذلك سمي به متاع الدنيا لدثوره وزواله عما قليل، والحلال وصف من الحلّ مقابل العقد والحرية كأن الشيء لحلال كان معقوداً عليه محروما منه فحلّ بعد ذلك .. ، وقد اختلف المفسّرون في الآيات بعد اتفاقهم على أنها أنما نزلت بعد وقعة بدر تعاتب أهل بدر وتبيح لهم الغنائم . والسبب في اختلافهم ما ورد في سبب نزولها ومعاني جملها من الإخبار المختلفة ولو صحت الرّوايات لكان المتأمل فيها قاضياً بتوسّع عجيب في نقل الحديث بالمعنى حتى ربمّا اختلفت الرّوايات كالإخبار المتعارضة .

فاختلفت التفاسير بحسب اختلافها فمن ظاهر في أن العتاب والتهديد متوجّه إلى النبيّ (ص) والمؤمنين جميعاً او الى النبيّ والمؤمنين ما عدا عمر ، أو ما عدا سعد بن معاذ والى المؤمنين دون النبيّ او الى شخص آو أشخاص أشاروا إليه بالفداء بعدما استشارهم .

ومن قائل: إنّ العتاب إنّما هو على أخذهم الفداء ، أو على استحلالهم الغنيمة قبل الإباحة من جانب الله ، والنبيّ (ص) يشاركهم في ذلك لما بدا باستشارتهم مع القوم إنمّا اخذوا الفداء بعد نزول الايات لا قبله حتى يعاتبوا عليه ن والنبيّ (ص) أجلّ من إن يجوّز في حقّه استحلال شيء قبل أن يأذن الله له فيه ويوحي بذلك اليه وحاشا ساحة الحقّ سبحانه أن يهدّد نبيّه بعذاب عظيم من شانه أن ينزل عليه من غير جرم أجرمه وقد عصمه من

المعاصي ، والعذاب العظيم ليس ينزل إلا على جرم لا كما قيل : إنّ المراد به الصغائر)[٣٨] .

النفي بـ (ليس)

في محاضرات القيت على قادة اللغة العربية ذكر فيها الدكتور ابراهيم السامرائي موضوعا لم يتعرض له الاقدمون او انهم ذكروا فيها شيئا لم يتصل بحقيقة (ليس) ولم يهتدوا الى الوجه الصحيح معللا ذلك اما لنقص في ادواتهم او لبعدهم عن الاسلوب العلمي الذي يقوم على المقارنة في بحث المسائل اللغوية السامية ومها المواد الفعلية لـ (ليس) في باب من النحو لا يهتدي فيه الدارس إلي شيء من حقيقتها نحواً ولغة. فهي من أدوات النفي وهي تتطلب معمولين مبتدأ وخبراً . وبسبب العمل وهو عدم الاكتفاء بالمرفوع أو قل إنّ هذا المرفوع مفتقر إلى ما سموه بـ (الخبر المنصوب) أقول بسبب من هذا ضمّوا مواد مختلفة في دلالتها إلى بعضها وجعلوا من الآيات المتنافرة باباً أسموه بـ (النواسخ) ولعل من الغريب أن يحشر بين هذه المواد الدالة على الإيجاب مادة (ليس) وهي على النقيض من هذه المجموعة،فهي من المسائل التي ينبغي ان تكون في مبحث النفي . ويبدو أن

الأولين كانوا في تردد بسبب من هذه المسالة فقد كانت عندهم مترددة بين الحرفية والفعلية ، فذهب الجمهور إلى أنها فعل ، وذهب الفارسي: في احد قوليه وأبو بكر بن شقير ، في احد قوليه الى انها حرف[٣٩]، وان هؤلاء - كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي - كانوا على حقّ في ترددهم في حمل هذه المادة على سائر الأفعال التي أشبهت (كان) في العمل)[٤٠].

ويرى ابن هشام في (ليس) كلمة دالة على نفي الحال ، وتنفي غير قرينة تخفيه ، ولم تقدره فَعَل بالفتح لأنه لا يحفف ، ولا فعُل بالضم لأنه لم يوجد في يائي العين إلا في هَيُؤَ ، وسُمع (لُستُ) بضم اللام ، فيكون على هذه اللغةكهَيُؤَ . وزعم ابن السراج انه حرف بمنزلة ما ، وتابعه الفارسي في الحلبيات وابن شقير

وجماعة ، والصواب الأول ، بدليل ، لستُ ولستُما ولستنّ وليْس وليْسوا وليسَت ولسنَ [٤١]

وذكر ابن منظور في لسان العرب مادة (ليس) رأياً للخليل بن احمد الفراهيدي مفاده : أنها مركبة من (لا ايس) فطرحت الهمزة وألزمت اللام بالياء وأما القول بفعليتها فهو كثير ، قال ابن سيدة : (ليس : كلمة نفي ، وهي فعل ماضٍ (ليس) بكسر الياء . وعلى الرغم من حرفيتها ، أو فعليتها في الحكم الإعرابي كما سبق ذكره فان تطوراً لغوياً طَرَأ على هذه الكلمة كما يرى أصحاب فقه اللغة ، وهذا لا يخرجها عن دلالة النفي ، والذي نسعى اليه في هذا المبحث ومن خلال الآيات القُرآنية التي سنعرض لها وفي ضوء السياق لنلتمس المعنى الدلالي الذي أفاده نفيها[٤٢].

وفي الآية الكريمة من سورة الشورى ، قال تعالى : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) الشورى: ١١

نفيان ، نفي المثلية ، والآخر نفي الشيئية ، وما ينضوي فيهما مَن زمان ومكان ، وأبعاد وتجسيد ، إذ أفاض الفخر الرّازي ذلك في الحجة الثانية : قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (الشورى:١١) (حكم الله تعالى ، بان مثلَ مثله ليس بشيء ، ولا شكّ أنّ كلَّ شيءٍ مثل لمثل نفسه ، وثبت في هذه الآية : أن مثل مثله ليس بشيءٍ ينتج انه تعالى غير مسمى بالشيء ، فان قالوا : إن الكاف زائدة قلنا : هذا كلام معناه أن الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث

وباطل ، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل ، ومتى قلنا : إن هذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال .

والحجة الثالثة : لفظ الشيء ، لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء ، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك ينتج أن لفظ الشيء ليس اسماً لله تعالى : أما قولنا إن اسم الشيء لا يُفيد المدح والجلال ، فظاهر ، لأنّ المفهوم من لفظ الشيء قدر مشترك بين الذّرة الحقيرة وبين اشرف الأشياء ، وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشيء حاصلاً في أخسِ الأشياء ، وذلك يدل على أنّ اسم الشيء لا يُفيد صفة المدح والجلال ، وأم من قولنا : إن أسماء الله يجب أن تكون دالة على صفة المدح والجلال، وإذا اثبت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب)[٤٣]ويرى ابن جنّي ملاحظا في حرف (الكاف) (ففيه قولان : احدهما: أن الكاف زائدة ، أي ليس مثْله شيء، لأنها لو كانت غير زائدة لكان التقدير ، ليس مِثْل مِثْلِه شيء وفي هذا نوعان من الكفر نعوذ بالله منهما ، احدهما: إثبات مثْل لله ، لأنه إذا كان التقدير ليس شيء مثل مثله دل على أن له مثيلاً . والثاني : انه نفي عن الله أن يكون مثْلاً لمثله ، وهو محال ، لان الشيء إذا كان لمثله فهو مثْلُ مثله كما أن مثلَه مثلهُ .

والقول الثاني: أن الكاف غير زائد ، إنّما مثْلُ هُو الزائد، كأنه قال : ليس كَهُو شيء وهذا كما تقول : مِثْلكَ من يفعَل هذا أي : أنتَ لا تَفْعَلُ هذا ، وانشدوا الرواية : ((يَا عَاذِلي دَعَنْي مِنْ عَذْلِكما مثْلي لا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلكما))[٤٤]

غير أن السيد قطب ينفي المرجعية لغير الله سبحانه وتعالى في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة فيقول ((فليس هنالك من شيء يماثله - سبحانه وتعالى: ((ليس كَمثله شيء)) والفطرة تؤمن بهذا بداهةٍ ، تحالف الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقهِ .. ومن ثمّ فإنها ترجع كلها إلى حكمه عندما تختلف فيما بينها على أمر ، ولا ترفع معه إلى احد غيره ، لأنه ليس هناك مثله ، حتى يكون هناك أكثر من مرجع واحد عند الاختلاف . ومع انه - سبحانه - ((ليس كمثله شيء)) .. فان الصلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل . فهو يسمع ويبصر: ((وهو السميع البصير))[٤٥].

والذي نطمئن إليه ، بعد نفي المثلية ، والشيئية والمرجعية عنه سبحانه وتعالى ، كما أسلفنا ، فان الزيادة للكاف لا تصح في كتابه الكريم ، لان كلّ حرف بل كل كلمة فيه وضعت وضعاً فنياً مقصوداً معجزاً . وما تأوله النحويون واللغويون ، يخضع لأهوائهم ، وقواعدهم ، والتقعيد الحقيقي للقاعدة النحوية ، هو مابين الدفتين/ القرآن الكريم.

وفي سورة الواقعة، يرى الرّازي في تفسيره الكبير في مبحث المسألة الرابعة : نفياً أفادته النكرة : (كاذبة) في

قوله تعالى ((لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)) (الواقعة:الاية ٢) اشارة إلى أنّها تقع دفعة واحدة للمرّة الواحدة ، وقوله (كاذبةٌ) ، صفة لمحذوف أقيمت مقامه ، تقديره ، ليس لها نفس تكذب ، ثانيهما : الهاء للمبالغة

كما تقول في الواقعة ... ثالثهما: هي مصدر كالعاقبة ، فإذا قلنا بالوجه الأول ، فا للام تحتمل وجهين احدهما أن تكون للتعليل أي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعها ،

كما يقال : لا كاذب عند الملك لضبطه الأمور فيكون نفياً عاماً بمعنى أن كل واحد يصدقه فيما يقول)[٤٦]وفي المحتسب ذكر الدكتور ، عبد العال سالم مكرّم عن ابن جني ج ٢ ، ص ٣٠٧ تأويلاً وهو النصب على الحال (خافضة رافعة) بالنصب (قراءة عيسى) قال أبو الفتح : هذا منصوب على الحال ، وقوله : ((لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)) حينئذٍ حال أخرى قبلها أي إذا وقعت الواقعة صادقة ، الواقعة خافضة رافعة ، فهذه ثلاث أحوال أولاهن الجملة التي هي قوله : ((لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)) ومثله : مررت بزيدٍ جالساً متكئاً ، ضاحكاً ، وان شئت أن تأتي بعشرة أحوال إلى إضعاف ذلك لجاز وحسن)[٤٧]ويرى السيّد قطب ملحظاً لغوياً يتعلق في جرس اللفظ ذاته بما فيه من مدّ وسكون تلقى في الحس كأنّما هي ثقل ضخم ينقض من علٍ ثم يتسق ، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال ((لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)) (الواقعة: الاية : ٢)

ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه ، كأنما يتوقع الحس أرجحة وزحزحة يحدثها حين يقع ، ويلبي السياق هذا التوقع فإذا هي ((خافضة رافعة)) .. إنها لتخفض أقدارا كانت رفيعة في الأرض وترفع أقداراً كانت خفيضة في دار الفناء ، حيث تختلّ الاعتبارات والقيم ، ثم تستقيم في ميزان الله)[٤٨]

النفي بـ (لا) الدالة على الافعال

والذي يهمنا في مبحث ـ لا ـ هو أثرها المعنوي لا الإعرابي ، الذي سنعرض إليه من خلال سياق النفي ، والألفاظ المنكرّة التي وقعت في السياق القُرآني . وفي الآية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات:١١)

يقول الزمخشري : (القوم: الرّجَال خاصة ثمّ خصص سبحانه وقال النساء ، ومجيء النساء نكرة يقصد إفادة الشياع))[٤٩]وفي موضوع أخر من الكشاف نبّه فيه:(على أن قصد ذكر الذكور ، وترك الإناث ، لأنهن توابع لرجالهن ، وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين : ان يُراد لا يسخر بعض المؤمنين ، والمؤمنات من بعض ، وان قصد إفادة الشياع وان تصبر كلّ جماعة منه منهية عن السخرية)[٥٠]

(روى الضحاك عن ابن عباس (رض) أن بعضهم كان يقول لبعض : إنّك لغيرُ رشيدٍ وما أشبه ذلك يستهزئ به فنزل هذا وهو من بني تميم)[٥١]

ومما يتفق مع الزمخشري ما نقله الطبرسي رأياً للخليل مفاده : القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم على بعض في الأمور قال زهير :

وما ادري ولست أخال ادري
أقومَ آل حصنٍ أمْ نساءُ

والمعنى لا يسخر رجال من رجال)[٥٢]

ولعل في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما يسلط الضوء على جوانب كثيرة في التربية والأخلاق .

إذ نزلت هذه الآية الكريمة في رجل ، وقيل في امرأتين ، ففي الرّجل ، فلان بن فلان ، وقد سمع النبيّ (ص) من يقول ذلك ، وفلانة مهموزة ، وفي امرأتين نظرتا إلى ثوب أمّ سلمه ، وكان ابيض اللون ، فقالت الامرأتان : ماذا تجرّ أمّ سلمه في خلفها ، كأنها تجر لسان كلب ، وفي تفسير الجلالين أن الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين ، كعمار ، وصهيب[٥٣]وايّا كان سبب النزول ، في رجلٍ أو في امرأتين ، فالعبرة في صريح العبارة القرآنية التي تدل بلا شك ترك لا النفي عن المهموز ، التي أرادها الشارع أن يربي في الإنسان ملكة الذوق ، التي تنسجم مع الخطوط العامة للرسالة المحمدية التي يصف الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم : ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (القلم:٤) ليكون أسوةً حسنةً للناس .

وثمة ملحظ آخر جاء به تنكير المفردة وتنوينها ، هو تقليل الشأن ، وتقليل العدد الذي تضمنته الكلمة ، وإذا كان العدد قليلاً قلّ أثره في أي موضع وتقليل الشأن له اثر نفسي يبعث على الذم . وقوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)(الرعد:من الآية١١)

ومن جانب آخر اراد الله سبحانه التنبيه إلى الجانب التربوي والأخلاقي في هذه الآية الكريمة ، وإلا لماذا هذا الاستهزاء ؟ فالاستهزاء صفة ذميمة ، ومن هنا ركزّت الآية الكريمة على نزعة مركزية مألوفة ،ألا يتكبر الإنسان على غيره وألا يأخذه الغرور بالهمز واعابة غيره ، وذلك مذموم في الشريعة الإسلامية . فالسخرية كما يراها الطبرسي: (إظهار خلاف الإبطان على وجه يفهم منه استضعاف الفعل ، ومنه التسخير ، التذليل يكون استضاعفاً بالقهر) ومن هنا نلاحظ أن السخرية قد تكون بالقول ، وقد تكون بالفعل ، كالمحاكاة أو التقليد بالصوت استهزاءً ، فهذا النوع من المحاكاة كان يفعله (الحكم) الذي كان قلد مشية الرسول الكريم (ص) وكانت مشية الرسول فيها من الرزانة وثقل النبوة ، حتى دعا لـ (الحكم) كن كذلك فظل على مشيته ، وترك مشيته الأولى كما أشارت المرويات في ذلك . فالسخرية هي العيب بالقول والفعل كالمحاكاة في الحركات كما اشرنا إلي ذلك أو اللمز في القول قال تعالى : ((الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة:٧٩) . فالآية الكريمة نسبت التنابز الى النفوس، ولم تقل لا تلمز نفسك فاللمز بالتقليب بالألفاظ ، وقد نهى القرآن عنه ((وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ)) (الحجرات: من الآية١١) والاسم الفسوق الذكر ، أي تذكر أخاك بهذا الاسم المعيب والكلمة المعيبة ، فكان الهدف هو تطهير الألسن والنفوس من ذلك . ومن هنا جاء التنكير لكلمتي (قوم ، نساء) في الآية الكريمة لغاية

أرادها الله سبحانه ليبرز دلالة أمرٍ ما إنّ شاع في الألسن والنفوس أصبح هذا الأمر وَبالاً على الفرد

والمجتمع ، لان النفوس تحرص كلّ الحرص بان لا يشاع عنها بعيبٍ ، ومن الملاحظ إن في الآية الكريمة محذوفاً متعلقاً بـ (قومٍ) فهو غير معلوم في (القوم) أخيرَ أم شرا ، غير أن سنّة التغيير والإبدال جارية على المخلوقين ، ففي سورة المعارج قوله تعالى ((عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) (المعارج:٤١)

رأى السيد الطاطبائي أنها : ((هي خلقة جارية والله هو

رب الحوادث لجارية التي منها خلق الإنسان جيلاً بعد جيل والمدبر لها ، قادر على أن يذهب بهم ويُبدّلهم خيراً منهم يعتنون بأمر الدين ويستأهلون الدّخول في الجنة ولا يمنعه خلق هولاء أنْ يُبدّلهم خيراً منهم ، ويدخلهم الجنة بكمال إيمانهم من غير أن يضطرّ إلى إدخال هؤلاء الجنّة ، فلا ينتقص تقديره أنّ الجنّة للصالحين من أهل الإيمان) وفي قوله تعالى : ((انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم)) متعلق بقوله : (لقادرون) والمفعول الأول لنبدّل ضمير محذوف راجع إليهم وإنما حُذف للإشارة إلى هوان أمرهم وعدم الاهتمام بهم ، و(خيراً) مفعوله الثاني وهو صفة أقيمت مقام موصوفها ، والتقدير إنّا لقادرون على أنْ نبدّلهم قوماً خيراً منهم ، وخيرتهم منهم أن يؤمنوا بالله ولا يكفروا به ويتبعوا الحقّ ولا يردّوه. وفي قوله : ((إننا لقادرون)) التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير، والوجه فيه الإشارة إلى العظمة المناسبة لذكر القدرة)[٥٤]

وفق سنة التغيير والإبدال،وقف السيد الشهيد الثاني محمد الصدر (قدس) من هذه السنة وقفةً تفصيلية في موسوعته العظيمة ((موسوعة الإمام المهدي)) عجّل الله فرجه الشريف . يقول السيد الشهيد : (

إذا استطعنا أن نضم النتائج الرائعة للعلم إلى نظام عادل وقانون سليم ... استطعنا إن نكفل الرفاه الحقيقي والسعادة الكبرى ، إذ تكون النتائج العلمية موزعة يومئذ بين البشر بشكل متساوٍ ومتكافئ بدون اجحاف أو ظلم)[٥٥]

ولعل التطور القانوني ، : هو الفيصل في حل الأزمات ، لان (المهم في الأمر هو وجود النظام الصالح والقانون العدل الذي يُنسق شؤون المجتمع البشرية ويسعى حصولها على آمالها وإزالة آلامها إذن فالقائد الرئيسي للبشرية نحو الأفضل هو (القانون نفسه ... وهو الذي سيكفل مستقبلكم السعيد)[٥٦]ويرى الدكتور محمد التيجاني مقصداً في الآية الكريمة : ((ان الله لا يغير ما بقوم)) يجب أن يُفسّر تفسيراً حقيقاً ، والمعنى الذي يقصد الله سبحانه وتعالى - واظنني على حقّ،وان أكون على حقٍّ هو أن الله سبحانه وتعالى يُريد ان يقول ، يا أيّها الّذين آمنوا غيّروا أفكارهم الباطنيّة والكافرة لتُعطينا دروساً عظيمة في السيرة النبوية الشريفة .

ومن هذه الدروس مثلاً : أن الله سبحانه وتعالى يعلم أن قوى الشرّ وعلى مرّ العصور هي القوة الفاعلة والضاربة وهي الكثرة العددية : ((بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)(المؤمنون: من الآية٧٠))

أكثرهم يكرهون الحقّ : ((وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)) (الأنعام: من الآية١١٦)[٥٧]

ويتضح من ذلك ، أن الكثرة العددية عمرها لم تمثل الصحيحة ، لأنهم لم يستقيموا على الطريقة قال تعالى: ((وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً) (الجن:١٦)

غير أن القرآن الكريم يصفهم بـ (ثلة) وبهم يتم التغيير والصلاح ، هم الندوة ، والصفوة ولو أراد الله أن يجعل مقاديره في الكثرة وما يشاع عنها في السلوك ، لأكثر من أنبيائهم عليهم السلام فهم المصلحون والمغيّرون في المجتمعات بعد أن تتأثم كل مفاصلها بالحطيئة والرذائل ، والموبقات وهم (ثلة) كما أسلفت إزاء الكثرة العددية التي

خلقها الله من البشر فهم لا يتجاوزن مائة وأربعة عشر نبيّاً كما تشير مصادر المفسرين .

وهناك ألفاظ ما يلزم النفي بها ؟ في العربية ، وهي ألفاظ خاصة بالنفي لا تستعمل في الإثبات منها : أحد ، وعَريب ، وديّار ، وأرم ، وكتيع ، وطوريّ[٥٨]وما أشبهها ، وهي بمعنى واحد فتقول (ما في الدار أحد) و (ما في الدار عَريب) . فـ (أحد) هذه بمعنى (إنسان) وهي غير (أحد) التي بمعنى واحد والتي تستعمل في الإثبات وفي العدد نحو : ((قلْ هو الله أحد)) الإخلاص : ١ ونحو ذلك قال أحدهم : (أحد عشر وأحد وعشرين) ونحوها[٥٩]وهناك ظروف تستعمل في النفي خاصة منها: عَوْض: وهي ظروف لاستغراق الزمن المستقبل،مثل (أبداً) نقول : ((لا افعل عَوْض)) ، وهي خاصة بالنفي بخلاف (أبداً) فإنها لا تختص به بل هي تقع في الإثبات والنفي نحو قوله : ((خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)) (البينة: من الآية: ٨)[٦٠](وعَوْض ظرف معرب إن أضيف ، كقولهم ، (لا أفعله عَوْض العائضين) وهو من الأمثال في (مجمع الأمثال) وهو مبني إن لم يُضف، وبناؤه إما على الضم كقبلُ ، أو على الكسر كأمسِ أو على الفتح ، كأين ، وسمي الزمان عَوْضاً لأنه كلما مضى جُزءُ منه عوضه جُزء آخر ، وقيل : بل لآن الدّهر في زعمهم يسلب ويعوض[٦١]

ومنها : قطّ وهي ثلاثة أوجه ، كما يرها صاحب (المغني) أحدها : أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى ، وهذه بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة في أفصح اللغات وتختص بالنفي ، يقال (ما فعلته قطّ) .... فمعنى ما فعلته قطّ ، ما فعلته فيما انقطع من عمري ، لان الماضي منقطع عن الحال والاستقبال ، وبنيت لتضمنها معنى مذ والى إذْ المعنى مذْ أن خلقت إلى الآن[٦٢].

ومن الألفاظ التي أكدَ النحويون دلالتها على النفي (غير) وهي من الالفاظ المستعملة كثيراً في لغتنا العربية بمدلولاتها متنوعة واعاريب مختلفة ، سأعرض في هذا المبحث إلى أسميتها ، وتنكيرها وأمثلّ لذلك من استعمالاتها في القرآن الكريم .

فـ (غير) اسم ، لأنّها ملازمة للإضافة إلى ما بعدها ، ويجوز أن يقطع عنها لفظاً إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس ، وقولهم : (لا غير) لحن ، ويقال (قبضتُ عشرةً ليس غيرها) برفع غير على حذف الخبر ، أي مقبوضاً ، وبنصبهما على إضمار ، الاسم ايضاً وحذف المضاف أليه لفظاً ونيةً ، كقراءة بعضهم:

((لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) (الروم: من الآية٤) بالكسر من غير تنوين أي من قبلِ الغَلَب ومن بعده ، وليس

غيرُ بالضم من غير تنوين فقال المبرد والمتأخرون: إنّها ضمة بناء ، الإعراب ، وإنّ (غير) شبهت بالغايات كقبلُ وبَعْدُ ، فعلى هذا يحتمل آن يكون اسماً وان يكون خبراً ، وقال الأخفش : ضمة إعراب لبناء ، لأنّه ليس باسم زمان كقَبل وبعد ولا مكان كفوقَ وتحت ، إنما هو بمنزلة كلّ وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذف الخبر ، وقال ابن خروف : يحتمل الوجهين ((وليس غيراً) بالفتح والتنوين ، إلا المعربات ، وأما للتعويض ، فكأنَّ المضاف إليه مذكور .

و (غير) لا تصغّر ، ولا تجمع ، ولا تدخلها الألف واللام .

ويرى الدكتور ، زكي فهمي الآلوسي أن كتب النحاة لم تورد كلَّ معاني غير استشهد بمحاولة الهروي في كتابه الأزهرية أن يجمع معانيها ومثّل سبعة مواضع فقط ، إأما ابن هشام الأنصاري فلم يذكر لها في المغني إلا معنيين ، فقد حاول الدكتور فهمي الآلوسي ان يجمع هذه المعاني ، وان يمثّل لكل معنى فيها . فقد أضاف لها معاني كما ظهرت له .

١- أن تكون صفة للنكرة . تقول : مررت برجلٍ غيرك ، ومنه قوله تعالى:((رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)) (فاطر: من الآية٣٧) وقوله تعالى : ((لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ)(النساء: من الآية٩٥)).

عند من قَرأ (غيرُ) بالرفع أو الكسر ، كما قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة (غير) برفع الراء .فالرفع صفة لـ (القاعدون) والجرّ صفة للمؤمنين .

وقوله تعالى : ((صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة: من الآية٧)) على أنها صفة (الذين) وان كانت معرفة ، لان المعّرف الجنسي قريبٌ من النكرة ، ولان غيراً أذا وقعت بين ضدين ضعف إبهامها ، كما يرى صاحب المغني[٦٣].

وأجاز الزركشي وقوعها صفة لمعرفة أذا كان معناها يشير إلى ضد الموصوف بشرط أن يكون له ضد واحد كقوله تعالى : ((الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) (الفاتحة : ٧) فان الغضب ضد النعمة والاول هم المؤمنون والثاني هم الكفار .

وفي كتاب (الأزهرية) تكون بمعنى النفي ، وهو ما نسعى إليه في هذا المبحث ، فان كانت تعرب حالاً أو بدلاً ففي مثل قوله تعالى ((فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ)(النساء: من الآية١٢)) . (فغير) تعرب حالاً وهي بمعنى النفي ، أي يوصي بها وهو لا يضر الورثة . وهذا الموضع لا تصلح فيه (إلاّ) . كقوله تعالى:

((وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)) (البقرة ٢٤)

وغير تعرب حالاً من الأزواج أو بدلاً من (متاعاً) أو مصدر مؤكداً وهي بمعنى النفي ، أي لا يخرجن من مساكنهن إلى الحول)[٦٤].

الهوامش

١. التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي : ١٢
٢. ينظر: من اسرار التعبير في القرآن: د. عبد الفتاح لاشين : ١٥
٣. البرهان: للزملكاني: ١٣٦ ، وما بعدها.
٤. ينظر: احياء علوم الدين: ابو حامد الغزالي: ١/ ٢٦٣
٥. مغني اللبيب: لابن هشام ١ / ٣١٣، ٣١٤ .
٦. معاني القرآن واعرابه: ٤/ ٣٧٦،
٧. مفردات الراغب :١٩٢ (جَرَمَ)
٨. التفسير الكبير: مج ١ /٢٦٦.
٩. شرح كافية ابن الحاجب ج٢ / ١٩١ :
١٠. الكشف عن وجوه القراءات : لمكي بن ١:٢٨٦- مكي بن ابي طالب: ٢٨٦/١ .
١١. الراغب : المفردات : ٦٣٦ (فسق) .
١٢. الكافي : ١/ ٧٠ ، ج٩ ، كتاب فضل العلم : ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني/ ت ٣٢٨ هت / ط. دار الكتب الاسلامية – طهران.
١٣. حلية الصالحين: ٥٥-٦٠ .
١٤. الكافي باب ، ان الايمان اخص من الاسلام/ الجزء ٣ ص١٨ ، الكافي : ٢/٢٥ ، الحديث : ١
١٥. سنن ابي داود ، كتاب الجهاد ، رقم الحديث ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ .
١٦. سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن / رقم الحديث : ٣٩١٧ ، ٣٩١٨ .
١٧. سنن الترمذي : كتاب الايمان رقم الحديث : ٢٥٣١ ، ٢٥٣٢ ، ٣٢٦٤ .
١٨. سنن النسائي: كتاب الجهاد رقم الحديث ٣٠٣٩ .
١٩. شرح المفصل / مج ٤ / ١٠ ، ابن يعيش النحوي ، ٦٤٣ هـ
٢٠. تفسير القرآن الكريم: السيد عبد الله شبّر :٥١٩ .
٢١. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٧٩٤ هـ ، ج٢ / ص٤٧٠ .
٢٢. مفردات الفاظ القرآن ، مادة ((غلّ)) :٦١٠ ، وقد عقب المحقق لمفردات الراغب لهذا الحديث . وهو ، شطر من حديث طويل في صلح الحديبية ، اخرجه الامام احمد عن المسور بن مخرمة ، مروان بن الحكم في مسنده ٤/ ٣٢٥ ، وابو داود ، باب : صلح العدو .انظر : سنن ابي داود رقم ٢٧٦٦ ، ومعالم السنن ٢/ ٣٣٦ .
٢٣. معاني القرآن واعرابه: للزجاج : ٤٢٣/١، ٤٨٤ .
٢٤. اسباب النزول ،الواحدي : ٦٩، ٧٠ .
٢٥. البيان في تفسير القرآن للمفسر الكبير الامام الخوئي :٣٨ .
٢٦. ينظر: اسباب النزول ، للواحدي :١٣٣ .
٢٧. ينظر : الانشراح وبحوث اخرى: محمد مهدي الاصفي : ١٣٣ ،٢٦ ، ٢٧
٢٨. الميزان في تفسير القرآن :٣٣١/٢٢ .
٢٩. الميزان :٩ / ٣٨٠ .
٣٠. بحوث في الفقه المعاصر ، حسن الجواهري :٢ / ١١٧ .
٣١. بحوث في الفقه المعاصر : ١١٦/٢ .

٣٢.الميزان : ٩ /١٣٧ ، ١٣٨ .
محمد الحقيقة العظمى : عزيز السيد جاسم : ٢٠٨ .
http://thiqaruni.org/arabic/57.pdf
٣٣.
٣٤.مفردات الفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني ٦٤٦ ، مادة (فوت) .
٣٥.المصدر نفسه :٦٤٦.
الميزان : ج/٢ ٥،٦ – دار الكتب الاسلامية – تهران بازار سلطاني ، سنة ١٣٧٩.
http://thiqaruni.org/arabic/88.pdf
٣٦.
٣٧.مفردات الفاظ القرآن، العلامة الراغب الاصفهاني ، مادة (ثخن):١٧٢ ، دار القلم دمشق ، الدار

الشامية – بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٥ هـ ق – ١٣٨٣ هـ.ش ، تحقيق صفوان عدنان داوودي .
٣٨.ينظر : الميزان ٩/١٣٩ .
٣٩.ينظر : شرح ابن عقيل :١/١٣٧
٤٠.محاضرات ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، القيت على دورة قادة اللغة العربية ، في المعهد المركزي للتدريب ، التابع لوزارة التربية سنة ١٩٨٠ ص٢٠ في الملزمة ، طبعت في مكتب قاسم للطباعة – بغداد .
مغني اللبيب: ١/٣٨٦ ، ٣٨٧ .
http://thiqaruni.org/arabic/36.pdf
٤١.ينظر : محاضرات د. ابراهيم السامرائي : ٢١
٤٢.التفسير الكبير ، الفخر الرازي : مج١ : ٣٢ . ١١٢ .
٤٣.توجيه اللمُع ، للعلامة احمد بن الحسين بن الخبّاز ، شرح كتاب اللمُع لابي الفتح ابي جنّي :٢٣٧ ، دراسة وتحقيق ، د. فائز زكي محمد دياب ، دار السلام ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
في ظلال القران م سيد قطب / المجلد الخامس ، مج : ١٩ ، ٢٥ :٣١٤٦ http://thiqaruni.org/arabic/78.pdf
٤٤.
٤٥.التفسير الكبير ، مج ١٠/٣٨٥ .
٤٦.الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي : د . عبد العال سالم مكرّم : ١٨٥ .
٤٧.في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مج ٦ /٣٤٦٢ .
٤٨.الكشاف : ٤ / ٣٦٧

٤٩.الكشاف : ٣ / ٥٦٥ .
٥٠.اعراب القرآن : النحاس : ٤ / ٢١٣ .
٥١.مجمع البيان : ٩ / ١٥٩.
٥٢.ينظر: تفسير الجلالين للسيوطي : ١ / ١٥٩ .
٥٣.الميزان : ٢٠ /٩١، ٩٢، ٩٣ .
٥٤.موسوعة ا الامام المهدي للسيد محمد محمد صادق الصدر : ٤ /١٤ وما بعدها
٥٥.المصدر السابق : ١٩ .
٥٦.ينظر : اعرف الحق : الدكتور محمد التيجاني السماوي :٣٤ ، ٣٥ .

٥٧.ينظر الكتاب ، ١ / ٣٠٣ ، والمزهر ، ٢ / ١٥٩ – ١٦٠ .
٥٨.الجملة العربية ، تأليفها واقسامها ، الدكتور فاضل صالح السامرائي :١٣٨ ، الطبعة الاولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ((٢٠٠٢ م. – ١٤٢٢هـ)) .
٥٩.المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
٦٠. انظر : المغني ١ / ٢٠٠
٦١.انظر المغني ، ١/ ٢٣٣
٦٢.بحث منشور في مجلة الاستاذ: زكي مهدي ، كلية التربية العدد الرابع سنة ١٩٩٩ ، مطبعة الامة ، بغداد.
٦٣.الكشاف : ١ /٣٧٧.

المصادر والمراجع

- احياء علوم الدين ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر ،لبنان ، (د ت)

- اسباب النزول : لابي الحسن علي بن احمد الواحدي ، (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق عبد الله المنشاوي ، صلاح الدين : (١٤٢٢ هـ) القاهرة.

- اعراب القران : المنسوب غلطا الى الزجاج ابي اسحاق ابراهيم بن سري بن سهل النحوي (ت ٣١١ هـ)،ط ٣ ندار الكتب (١٤٠٦ هـ) =(١٩٨٦)

- اعرف الحق : د. محمد التيجاني السماوي ،دار المجتبى بيروت-لبنان ،ط، بيروت (١٩٧٢).

- البرهان للزملكاني : لبدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق محمد ابي الفضل ، ط٢ ، بيروت ، (١٩٧٢).

- البيان في تفسير القرآن : السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي ، ط٤ دار التوحيد الكويت (١٣٨٩هـ=١٩٧٩م)

- التعبير القرآني : الدكتور فاضل السامرائي ، بغداد (١٩٨٧م)

- التفسير الكبير: الفخر الرازي ، (ت ٦٠٦ هـ) الفكر ، بيروت (١٩٨٥)

-الجملة العربية : الدكتور فاضل صالح السامرائي ،ط ١ ، ٢٠٠٢م، ١٤٢٢ هـ ، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع

- الحلقة المفقودة في النحو العربي ، دكتور عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الوحدة للفكر والتوزيع ، الكويت ، (١٩٧٧م)

- الكشاف : للزمخشري ، (ت ٥٣٨ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر (١٣٨٥ هـ=١٩٦٦م)

- الكافي : للكليني : ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (٣٢٨ هـ) دار الكتب الاسلامية طهران

- الكشف المشكل في النحو : لعلي بن سلمان الحيدرة اليمني (ت ٥٩٩ هـ) تحقيق الدكتور هادي عطية مطر ،ط١ ، (١٩٨٤م) مطبعة الرشاد ، بغداد

- الميزان في تفسير القرآن : للطباطبا ئي ، منشورات بيروت ط٣ (١٩٧٣م)

- النحو العربي : محاضرات القاها الدكتور احمد مكي الانصاري ، بقسم الدراسات العليا – مكة المكرمة

- الانشراح وبحوث اخرى : محمد مهدي الآصفي ، موسسة الهدى للنشر والتوزيع (١٤٢٠ هـ=١٩٩٩م).

- بحوث في الفقه المعاصر : تاليف حسن الجواهري ، ط١ بيروت ، لبنان ،دار الزمان،(د٠ت).

- تفسير الجلالين :جلال الدين محمد بن احمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، دار احياء التراث

العربي ،بيروت (د٠ت).

-تفسير القرآن الكريم :عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (١٩٦٧م)

- تفسير القرآن الكريم : السيد عبد الله شبر ، ط١ (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م) سفارة الجمهورية الاسلامية – دمشق

- توجيه اللمع : لابن جني ، تحقيق ، د٠ فايز زكي محمد ذياب / شرح لابن الخباز دار السلام ،ط١ ، (١٤٢٣ هـ =٢٠٠٢م)

- حلية الصالحين :السيد صادق الحسيني الشيرازي ، موسسة الرسول الاكرم ، ط٥ ، طهران ، (١٤٢٨ هـ)

- سنن ابن ماجة : ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣ هـ) تحقيق مصطفى الاعظمي ، ط٢ ، السعودية

(١٩٤٨م)

- سنن الترمذي:ج ١٠ ، ص ٦٠، في كتاب(تحريم الدم).

- شرح المفصل : لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب،بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة (د٠ت)

- شرح كافية : ابن الحاجب ، لرضي الدين الاسترابادي ،تحقيق محمد نور حسين ، مطبعة حجازي ، القاهرة

(١٣٥٨هـ)

في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية ، (١٤٢٥ هـ =٢٠٠٤م)

- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) بولاق ، مصر، (د٠ت)

- محاضرات د٠ ابراهيم السامرائي ، الشوؤن الثقافية ، بغداد (١٩٧٠م)

- محمد الحقيقة العظمى : عزيز السيد جاسم ، مطبعة السوؤن الثقافية (١٩٨٧م)

- مجمع البيان : للطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)دار احياء التراث بيروت ، (د٠ت)

- مغني اللبيب : لابي محمد عبد الله جمال الدين بن هاشم الانصاري ٠ت ٧٦١ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب ، بيروت

-مفردات القاموس المفهرس للقرآن : محمد فؤاد عبد الباقي مكتبة وهبة ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة مطابع الشعب (١٣٧٨ هـ)

- مفردات الراغب :الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم بن محمد ، دار الكتاب –العربي بيروت (١٩٧٢م)

- من اسرار التعبير القرآني : د٠ عبد الفتاح لاشين ، دار مريم ، الرياض ١٩٨٠٠م)

- موسوعة الامام المهدي : للسيد الشهيد الثاني محمد محمد صادق الصدر –اليوم الموعود ،ج ٤ ، طبعة بيروت

الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم

حقائق واوهام

الأستاذ المساعد الدكتور

شاكر سبع نتيش الاسدي

تقديم :

قال الإمام علي (ع) لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج : ((لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون . . .))(١) وهذا البحث ينطبق عليه قوله (ع) لابن عباس ، فهو وجه ارتأيناه لجمل مختارة من النص القرآني قيل عنها : انها اعتراضية ، ولا يلغي ما قاله العلماء قبلنا ، لكنه مجرد رأي علمي ينطلق من القول : إن التوسع في القول في الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم يخل من بلاغته ، ونحن لا نحكم بصحة رأينا ، وإنما نطرحه مستندين للدليل فإن لقي القبول فمن الله وان لم يلق الرضا فالخلل من أنفسنا والله الموفق .

وليس هذا البحث دراسة في قواعد الجملة الاعتراضية فقواعدها مسطرة في كتب النحو القديمة والحديثة فقد درسوا مواضعها والفرق بينها والجملة الحالية وغير هذا ، وهذا البحث يركز على النسق السياقي الذي تأتي فيه بعض الجمل الاعتراضية في القرآن الكريم ، ومناسبتها دلاليا للنص الذي ترد فيه ، والدلالة التي تضفيها على النص .

تمهيد :

الجملة الاعتراضية : هي جملة ـ أو أكثر ـ واقعة في سياق كلام متصل معنىً ، معترضة بين أجزائه المتلازمة أوالمتطالبة ، ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت بين أجزائه ، غير معمولة لشيء منه ، ويتم الغرض الأصلي بدونها غالبا ولا يفوت بفواتها (٢) ويسميها بعضهم اعتراضا (٣) وسماها قدامة التفاتا (٤)

وتتميز الاعتراضية من الحالية بجواز دخول الفاء ولن وأحرف التنفيس ، وكونها طلبية ، وعدم قيام مفرد مقامها ، وأنها لا محل لها من الإعراب (٥)

و الجميع متفق على أن الجملة الاعتراضية لابد أن تأتي لمعنى لم يحدده بعضهم وترك الأمر مطلقا فقال إنها تاتي لنكته (٦) غير أن أغلبهم يذكرونه في تعريفها فيقولون :إنهاتأتي لتوكيد الكلام أو تسديده أو تحسينه (٧) أو تقويته (٨) ومنهم من حصر دلالتها في أمرين ، احدهما : إنها لا تدل على معنى زائد على ما دل عليه فهي مؤكدة ، وثانيهما : أنها تدل عليه وعلى معنى زائد فهي مشددة (٩) .

علاقات ما قيل إنه جملة اعتراضية بغيرها من الجمل في القرآن الكريم :

انقسم المفسرون والنحاة والبلاغيون على قسمين اشترط احدهما : أن يكون الاعتراض واقعا في أثناء كلام متصل معنى أو بين كلامين متصلين معنى، والآخر لا يشترط ذلك

ويجيزون أن يقع الاعتراض في آخر كلام لا يليه كلام ، أو يليه كلام غير متصل به معنى ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة (١٠) والى هذا ذهب كثيرون منهم الزمخشري (٥٣٨هـ) (١١)والطبرسي(٥٨٤هـ) (١٢) ،وأبو السعود (٩٥١هـ) (١٣) وغيرهم (١٤) .

وأصحاب هذا القسم يقرون أن الجملة تذييل لكنهم يصرون على أنها اعتراض ولذلك يقولون عنها إنها اعتراض تذييلي ويؤكدون استقلالية الجملة الاعتراضية ومن امثلة النصوص القرآنية التي قالوا عنها هذا الكلام قوله تعالى : ((والله واسع عليم))من قوله تعالى : ((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم))(المائدة: ٥٤)قالوا : ((والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيداستقلال الجملة الاعتراضية))(١٥) ولو ذهبنا إلى هذا الرأي لأصبح نصف القرآن جملا اعتراضية .

وقالوا في قوله تعالى : ((وهم بالآخرة هم يوقنون))من قوله تعالى : ((طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ، هدى وبشرى للمؤمنين ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ، إن الذين لا يؤمنون بالأخرة زيّنا لهم اعمالهم فهم يعمهون)) (النمل:١ـ ٤)((جملة اعتراضية ، كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم

الموقنون بالآخرة))(١٦) .على الرغم من أنها واقعة بين معنيين متباينين .

وقالوا في قوله تعالى: ((واتخذ الله إبراهيم خليلا)) من قوله تعالى: ((ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ، ولله ما في السماوات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا))(النساء: ١٢٥ ـ ١٢٦)((هذه الجملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب))(١٧) مع انه واقع بين كلامين غير متصل احدهما بالآخر وهو مرتبط بما قبله وغير مرتبط بما بعده ولا ندري كيف صار النصان السابقان اعتراضا مادام الكل اما متباينين معنى أو غير متصلين معنى .وعلى وفق هذا فليس هذا القول مما يصح الذهاب إليه فهو يتنافى مع ما ذكروه للاعتراض من تعريف .وما قالوه أنفسهم عن الاعتراض فقد قالوا : ((ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه))(١٨)

وحاول قسم من الذين تحدثوا عن الجملة الاعتراضية أن يحصر الجملة الاعتراضية بين المتلازمين قال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ((لأن شرط جملة الاعتراض أن تكون فاصلة بين متقاضيين)) (١٩) وبه رد أبو حيان الأندلسيرأي من رأى أن قوله تعالى : ((وهم بالآخرة هم يوقنون)) جملة اعتراضية(٢٠) قال أبو حيان :

((هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض ، كوقوعها بين صلة موصول ، وبين جزأي إسناد ، وبين شرط وجزائه ، وبين نعت ومنعوت ، وبين قسم ومقسم عليه ، وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر))(٢١). أي يشترط ان تقع بين المتلازمين .

وهذا الرأي مما لا يصح الذهاب إليه لأن المتتبع للجمل الاعتراضية في القرآن الكريم يجد أنها تقع بين المتلازمين وبين غيرهما كالفعل ومفعوله او الفعل وشبه الجملة المتعلقة به وتقع أيضا بين جملتين مستقلتين بينهما علاقة سبب أو تفسير أو بيان (٢٢) أو بين المتصلين معنى كالأحداث المتصلة في قصة وغيره ، ومنه قوله تعالى : ((والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى))من قوله تعالى: ((فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وَضَعَتْ وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)) (آل عمران: ٣٦)

ذكرنا في ما مر أن بعض المتحدثين عن الجملة الاعتراضية قد توسعوا في مفهوم الاعتراض فادخلوا فيه ما لم يكن معترضا بين معنيين متصلين وادخلوا فيه التكميل والتذييل وهم بهذا قد ادخلوا في الاعتراض ما ليس فيه ، وما لا ينطبق عليه تعريفه، ومع هذا فإننا لو دققنا النظر وتمعنا في بعض النصوص القرآنية التي ادعوا أنها اعتراضية لوجدنا أنهم غير موفقين في هذا الادعاء فقد ذهب كثيرون إلىأن قوله تعالى : ((قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم))(النحل:٢٧ـ ٢٨) جملة اعتراضية (٢٣) . ((جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الأشهاد)) (٢٤) بين قوله تعالى: ((ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم (النحل: ٢٧) وقوله تعالى :((فألقوا السلم ما كنّا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون)): (النحل: ٢٨)

وفي هذا النص القرآني يرسم الله تعالى مشهدا من مشاهد القيامة يسأل الله المشركين فيه ، أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ؟ فيقول اللذين أوتوا العلم ((إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ، الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم))(النحل:٢٧ـ ٢٨) ، وحتما أن الله قد أذن لهم بالكلام بدليل قوله تعالى عن يوم القيامة : ((لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا))(النبأ: ٣٨) ثم يظهر المشركون الانقياد والخضوع ، ويقولون : ((ماكنا نعمل من سوء)) ، فيقول:أهل العلم : ((بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون))ثم يدخلهم جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين .

ومن هذا يظهر أن كلام أولوا العلم ليس من كلام الله تعالى ولا من كلام المشركين، فهو في الظاهر جملة اعتراضية ، غير أن القرآن الكريم في موضع آخر ذكر الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم في مشهد حواري بعد وفاتهم مع غيرهم قال تعالى : ((إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)) (النساء: ٩٧) ويظهر من هذا أن الـ (ظالمي أنفسهم) في الآيتين واحد (٢٥) وان المحاورين لهم واحد وهم أهل العلم ، ولو أردنا رسم المشهد على وفق معطيات الآيتين نجد أن المشهد يبدأ بسؤال الله المشركين أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ؟ ثم يتحدث أولو العلم بإذن الله فيقولون : إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . فيم كنتم ؟ فيرد المشركون : كنا مستضعفين في الأرض . فيرد أولوا العلم : الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ثم يظهر المشركون الانقياد والخضوع ، ويقولون ما كنا نعمل من سوء فيقول أهل العلم : بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ثم يقول الله تعالى : ((فادخلوا أبواب جهنم خالين فيها فلبئس مثوى الكافرين)): (النحل: ٢٩) ومن هذا يظهر ان لا اعتراض في الآية .

وذهب كثير من المفسرين والبيانيين الى كون : ((قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم)) (الأحزاب:٥٠) جملة اعتراضية (٢٦)بين قوله تعالى : ((وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين))(الأحزاب: ٥٠) وقوله تعالى: ((لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما)) (الأحزاب: ٥٠) انسجاما مع ظاهر الآية الذي يبين أنها اعتراض بين السبب والمسبب غير أن النحاس (٣٣٨هـ) في معاني القرآن يرى أن معنى قوله تعالى : ((قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم)) (الأحزاب:٥٠) أي قد علمنا ما في ذلك من الصلاح ، وهذه كلمة مستعملة يقال : أنا أعلم مالك في ذا .))(٢٧) وعلى وفق هذا فلا اعتراض ويكون المعنى : وان وهبت امرأة مؤمنة نفسها لك فيحل لك الزواج منها بغير مهر وهذا حكم خاص بك وقد علمنا ما في ذلك من الصلاح

بخصوصك بهذا الحكم وخصوص المؤمنين بحكم غيره لكي لا يكون عليك حرج ، وعندئذ فلا اعتراض .

وقال السيد الطباطبائي (ت١٤١٢ هـ) ((وقوله بعده : (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم)(الأحزاب:٥٠) تقرير لحكم الاختصاص)) (٢٨) وقال الطبري (٣١٠ هـ): ((يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك ، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك)) (٢٩) وعند دمج الرأيين يكون المعنى: وان وهبت امرأة مؤمنة نفسها لك فيحل لك الزواج منها بغير مهر وهذا حكم خاص بك ، وللمسلمين عامة حكم خاص ـ قد ذكرناه سابقا في ما مر من تنزيل ـ لكي لا يكون عليك حرج ، وعندئذ فإن عبارة ((قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم))(الأحزاب:٥٠) ضرورية هنا لبيان اختصاص الرسول بذلك الحكم وهي عبارة مطلوبة لذاتها أي هذا خاص لك وذلك الذي مر ذكره خاص بالمسلمين لأننا نريد رفع الحرج عنك فلا اعتراض لأن بيان اختصاص المسلمين بحكم خاص بعد ذكر اختصاص الرسول (ص) بحكم خاص يقرر ذلك الحكم للرسول (ص) ويقويه ويجعله خالصا له فيكون النص القرآني مترابط المعاني ، خاصة ان الله تعالى قال((خالصة لك من دون المؤمنين)) فلبيان خلوص الحكم للرسول جاء بجملة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) الدالة على خلوص المسلمين عامة بحكم غيره فالعبارة تقرير لـ ((خالصة لك من دون المسلمين)) التي قبلها مباشرة وهي بمعناها لان بيان خلوص المسلمين بحكم دون الرسول يعني خلوص الرسول بحكم خاص ولهذا فان التعليل غير مفصول عن المعلل ولا اعتراض

وقال تعالى ((وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ، وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ، قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ، وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ، والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون))(العنكبوت: ١٦ ـ ٢٤)

ظاهر الآيات أن لا اعتراض فيها لأنها من حديث إبراهيم عليه السلام (٣٠) وذهب المفسرون إلى أن الآيات ١٨ ـ ٢٣ أو الآيات ٢٠ ـ ٢٣ خطاب لقريش (امة محمد (ص) بعد أن عدل الله في الخطاب من قصة إبراهيم إلى الحديث مع قوم محمد (ص) وبذلك تكون جملة اعتراضية (٣١)

ويظهر أن الذي سبب هذا الاحتمال تشابه حالي الرسول محمد (ص) مع إبراهيم (ع) فالآيات ١٨ ـ ٢٣ تصلح مع إبراهيم (ع) ومع محمد (ع) لتشابه ما وقع به الرسولان الكريمان

فكل منهما كذبه قومه بعد أن دعاهم وآذوه وهجروه ... الخ

ومما أوقع المفسرين في هذا الاحتمال أن ما جاء في الآيات ١٨ ـــ ٢٣ من صميم الرسالتين اللتين هما في الحقيقة رسالة واحدة لأن دين إبراهيم (ع) ودين محمد (ص) واحد بدليل نصوص قرآنية كثيرة (٣٢)،فالكلام يصلح للأمتين ، وهنا بعض الحكمة من ذكر قصة إبراهيم (ع) فتشابه الحال بين النبيين (ع) والقومين يجعل قصة إبراهيم (ع) انسب في الذكر من غيرها لكي يشعر المشرك عندما يسمع هذه الآيات انه المقصود بالخطاب فيكون تأثير النص أقوى وأبلغ والذي يرجح كونها لإبراهيم (ع)

قوله تعالى : ((أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير)) (العنكبوت: ١٩) وفيه إشارة واضحة إلى قوله تعالى من قصة ابراهيم ((وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)) (البقرة :٢٦٠)

ولا شك أن إبراهيم (ع) عمل هذا أمام قومه فقد جمع طيوراً من أنواع مختلفة ومزقها وخلطها وقسمها على عشرة جبال (٣٣) لأنه يريد ان يظهر قدرة الله للنمرود في الخلق والإعادة فيطمئن قلبه ويؤمن قومه (٣٤) فضلا عن أن المعجزة لا تحصل إلا لغاية عظيمة يريدها الله واهم الغايات الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته . فقد رأى قومه الخلق وإعادته بأعينهم رؤية بصرية وهذا ما يناسب معنى قوله تعالى : ((أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير)) (العنكبوت: ١٩) ولا حاجة عندئذ الى ما ذهب اليه المفسرون من مماحكات لتاويل الرؤية في الآية (٣٥)وهذا مرجح في كون الآية في قوم إبراهيم (ع) وهناك مرجح اخر هو قوله تعالى : ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير))(العنكبوت: ٢٠)) فقد ورد الخطاب في القرآن موجها لأمة محمد (ص) ثلاث مرات بقوله قل سيروا في الأرض (٣٦) وليس من المعقول أن لا يخاطب الله غيرهم من الأقوام بالسير في الأرض ولذلك نرجح ان الخطاب لقوم إبراهيم وهو الظاهر ولا اعتراض وان في الآيات ملمحا فنيا رائعا بجعل الخطاب في الآيات يصلح أن يكون لكلا الأمتين امة محمد (ص) وأمةإبراهيم (ع) لتشابه الظروف والأحوال

ذهب بعض المفسرين إلىأن قوله تعالى : ((إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) (القصص: ٨) جملة اعتراضية(٣٧) بين قوله تعالى: ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)) (القصص:٨) وقوله تعالى ((وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون))(القصص: ٩) على معنى أنهم كانوا خاطئين((في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في أن قتلوا لأجله ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون))(٣٨) وعلى فرض أن

فرعون وهامان والجنود ليسوا من الآل ، فيكون ذكرهما خارجا عن القصة ومعترضا فيها ، وعلى هذا التفسير تكون الجملة اعتراضية في القصة .

والحقيقة أن الآل تطلق ويراد بها معان عدة منها قومه وأتباعه وأهل دينه(٣٩) ((ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصا ذاتيا إما بقرابة قريبة أو بموالاة))(٤٠) ((قال الأخفش لا يضاف إلا إلى الرئيس الأعظم نحو آل محمد - صلى الله عليه [وآله]وسلم - وآل فرعون لأنه رئيسهم في الضلالة))(٤١) وعلى هذا فإن فرعون وهامان وجنودهما ليسوا غرباء عن القصة فهم من الآل ، وهم من الذين التقطوا موسى (ع) ثم إن سياق الآية ينص على أنهم خاطئين في التقاط موسى إذإنهم التقطوا من صار بعد ذلك لهم عدوا وحزنا لأن التقاطهم له كان سببا في البقاء على حياته (٤٢) وعندئذ لا تكون الجملة اعتراضية وإنما هي من صميم القصة

وإذا فسرت خاطئين على مشركين كما فسرها ابن عباس (٤٣) لم تكن الجملة اعتراضية لأن المعنى يكون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أنهم مشركون فالشرك كان سببا في أن جعل الله لهم موسى عدوا وحزنا وعندئذ

تكون ((إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)) (القصص: ٨) من صميم القصة وهي تعليل لما قبلها .

ولو فسرنا الآية على أنهم خاطئين في كل شيء فتكون تعليلا لأنْ جعل الله لهم موسى عدوا وحزنا ، فلا اعتراض أيضا لأن السبب تابع للمسبب ، وعلى هذا فان ظاهر النص خدع من قال انها اعتراضية وعند التدقيق يتبين انها من صلب القصة .

وفي قوله تعالى : ((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا))(النساء: ١٢٨)

قيل عن قوله تعالى ((والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح)) انه اعتراض(٤٤)لكن الكثيرين لم يوضحوا مكان الاعتراض ووضحه أبو حيان بقوله ((باعتبار أن قوله : (وإن يتفرقا) (النساء ٢٠) معطوف على قوله : (فلا جناح عليهما أن يصلحا))) (٤٥) ولعل الذين لم يوضحوا مكان الاعتراض قصدوا أن الاعتراض بين قوله تعالى ((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا))(النساء: ١٢٨) وقوله تعالى : ((وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا))(النساء: ١٢٨) وحاولوا أن يتفننوا في تخريج هذه الجملة لتكون اعتراضية فقالوا ((قوله (والصلح خير) لفظ عام يقتضي أن الصلح الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق أو خير من الفرقة أو من الخصومة ، وهذه جملة اعتراضية .))(٤٦)وقالوا : (والصلح خير)) أي من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ، فاللام للعهد ، وإثبات الخيرية للمفضل عليه على سبيل الفرض والتقدير أي إن يكن فيه خير فهذا أخير منه وإلا فلا خيرية فيما ذكر ، ويجوز أن لا يراد بخير التفضيل بل يراد به المصدر أو الصفة أي أنه خير من الخيور فاللام للجنس ، وقيل : إن اللام على التقديرين تحتمل العهدية والجنسية ، والجملة اعتراضية ، وكذا قوله تعالى :

((وأحضرت الأنفس الشح)) ولذلك اغتفر عدم تجانسهما إذ الأولى : اسمية ، والثانية : فعلية ولا مناسبة معنى بينهما ، وفائدة الأولى: الترغيب في المصالحة ، والثانية : تمهيد العذر في المماكسة والمشاقة))(٤٧)

ولو أردناأن ننظر إلى الحكم في الآية غير منفصل عما ورد في القرآن من أحكام رأينا أن للمرأة حقوقاً أحقها الله على الرجل منها المساواة والعدل بين الضرائر والمساواة في النفقة ..... الخ وحقوقاً على المرأة أحقها الله للرجل منها الطاعة و .... الخ فإذا أخلت المرأة بحق الرجل فلها أحكامها وهنا تتحدث الآية عن انه إذا اعرض الرجل عن زوجته فهو يعد آثما لأنه يبخسها حقوقها وعند مشاققة الزوجة معه والخلاف والجدال والشجار معه بالمطالبة بالحقوق تتهدد المرأة بالطلاق وبالتالي تتهدد الأسرة بالضياع والانحلال والتفكك وتضيع الأطفال لذا فان الله تعالى رفع الحرج عن الرجل والمرأة - خوفا على الأسرة، وبالتالي المجتمع - في أن يعقدا صلحا يرفع الإثم عنه وعنها وهذا الصلح المبرم بين الزوجين خير من الخلاف

والمشاققة والجدال حول الحقوق وخير من أن تطلق المرأة وتضيع الأطفال وخير من أن تتفكك عرى الأسرة ومن ثم يتفكك المجتمع - ولم تبين الآية من يتنازل في الصلح هل هو الزوج أو الزوجة ولم تبين الآيةعماذا يتنازل الزوج أو الزوجة - ولهذا فان الصلح المبرم بين الزوجين تحصل فيه مفاوضات ومطالبات واتفاقات وعقود يتفق الطرفان عليها ، وأثناء هذه المفاوضات تحضر الأنفس الشح فيبخل كل منهما بحقوقه أو يريد كل منهما أن يحصل على اكبر مكسب من الآخر فقوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح يعني عند عقد الصلح أي شح كل منهما بأن أراد أن يأخذ من حقوق الآخر ما يستطيع أخذه وعندئذ قد يميل احدهم عن الإحسان للأخر،أو قد يشح بالحقوق التي فرضها الله علية - عند من فسر الشح بمنع حقوق الله الواجبة او منع الحقوق الشرعية (٤٨) - ولذلك اتبعها الله تعالى بقوله ((وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)) (النساء: ١٢٨) ثم إذا لم يفلح الزوجان في الصلح ولم يتفقا فان الله تعالى اقر لهما الطلاق بقوله تعالى : ((وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما))(النساء: ١٣٠)

وعلى هذا التفسير فلا اعتراض في النص القرآني وتراه منسجما ترتبط معانيه احدها بالآخر، وتأخذ معانيه كل منها بتلابيب الأخر ، ولهذا ينتفي القول ان لا مناسبة في المعنى بين معاني تلك الآية(٤٩) إذ إن هذا القول لا يتناسب مع بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه .

والذي نريد قوله : أن الآيات كلها مبنية على حكم شرعي هو الصلح بين الزوجين الذي فيه رخصة من الله ان يتنازل كل منهما عما يراه من حقوق - ولهذا نرى ان عبارة ((وأحضرت الأنفس الشح)) متعلقة بالصلح والمفاوضات الحاصلة فيه وإلا فالسياق لا يقتضيها

والذي يمكن الإشارة إليه أن المفسرين ذكروا أسبابا لنزول السورة (٥٠)وهي على اختلافها لا تبعد عما فسرنا وحملنا عليه النص القرآني المذكور .

قال تعالى: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (البقرة:٢٣ - ٢٤)

ظاهر النص القرآني أن قوله تعالى ((ولن تفعلوا)) جملة اعتراضية بين الشرط ((فإن لم تفعلوا))وجوابه ((فاتقوا النار)) والى هذا ذهب كثير ممن تحدثوا عن الآية (٥١) وهنا يجب النظر إلىأمور عدة ممهدة لما نريد إبداءه من رأي ومنها :

١ - أن معنى قوله تعالى : ((فاتقوا النار)): أي اتركوا العناد فهو كناية عن العناد أو معناه صدقوا بالرسول (ص) وبنبوته واسلموا أو((فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم))(٥٢) وغيره مما هو ملائم لهذا المعنى .

٢ - أن جملة (إن لم تفعلوا) تحتمل الشك الذي فرضته الأداة (إن) على السياق أي إن الجملة واقعة في نطاق أداة الشرط المعبرة عن الشك (إن) أي إنكم ربما تفعلون أو لا تفعلون فإذا قلت لطفلك : إن لم تصرف النقود فأعدها ، يعني انه ربما يصرف النقود فلا يعيدها ، قال الزركشي ((جيء ب " إن " التي للشك وهو واجب ، دون " إذا " التي للوجوب))(٥٣). وقال النسفي : (٥٣٧هـ) ((إن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا فإن لم تفعلوا فاتقوا النار))(٥٤).

٣- أن (لم) تغير زمن المضارع إلى الماضي فتحتمل الآية دلالة (إن لم تفعلوا) في الزمن الماضي أو فيما مضى .

٤- أن حصول جواب الشرط متعلق بالشرط تقول : إذا جاء زيد جاء علي فمجيء علي متحقق عند مجيء زيد .

وعلى وفق هذه المعطيات فإن جملة (إن لم تفعلوا) لا تصلح شرطا لقوله تعالى(فاتقوا النار) لأن المعنى سيكون عدم معارضتكم للقرآن - مع الشك والتردد الذي فرضته (إن) - فيما مضى من زمن توجب عليكم الدخول في الإسلام وترك العناد وعدم تكذيب الرسول (ص)

وعلى وفق هذا فإن المشركين غير ملزمين باتقاء النار (الدخول في الإسلام وترك العناد) لأنهم قد يعارضون القرآن فيما سيأتي من الزمن ، وعلى وفقه أيضا يكون الخطاب مخصصا لجيل من المشركين دون الأجيال الأخرى ، فلو وجد مشركون في زمن ما فإنهم سيقولون إننا غير مشمولين بهذا التحدي وعندها لا يلزم علينا اتقاء النار (الدخول في الإسلام او ترك العناد او غيره) لأن الشرط لا دليل فيه على تحدي الأمم في الأزمان المختلفة و((جدير بالذكر أن تحدي القرآن لا ينحصر بزمان أو مكان ، بل إن هذا التحدي قائم حتى يومنا هذا .)) (٥٥) ((لأن من أيامه عليه الصلاة والسلام إلى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والإسلام وتشتد دواعيه في الوقيعة فيه)) (٥٦) .

وعلى وفق هذا فإن جملة (لن تفعلوا) مطلوبة لذاتها في الشرط وهي متممة لجملة الشرط بل هي جزء لا يتجزأ من جملة الشرط فهي تزيل الشك الذي وقعت جملة الشرط في نطاقه بسبب الأداة (إن) في صدر الجملة بل تؤكد عدم المعارضة لـ ((أن في (لن) توكيدا وتشديدا)) (٥٧)ولـ ((أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ((ولن تفعلوا)) فإن لم تفعلوا فاتقوا النار))(٥٨) وتزيل تحديد زمن الشرط بالماضي وتضيف له زمن المستقبل غير المقيد (المستقبل المؤبد) الذي فرضته الأداة (لن) وتجعل الشرط في الآية منسجما دلاليا مع جواب الشرط فهي تجعل الشرط في الآية غير متحقق فيجب تحقق جواب الشرط، أي: أنها تجعل عدم المعارضة مستحيلة فيتعين اتقاء النار (الدخول في الإسلام او ترك العناد أو غيره) وتجعل من الآية صالحة لكل العصور وتجعل الخطاب فيها لمطلق المشركين من كل الأجيال والعصور .

فضلا عما أضافته من ((دلالة على صحة نبوته لأنه يتضمن الأخبار عن حالهم في المستقبل بأنهم لا يفعلون ولا يجوز لعاقل أن يقدم على جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول : أنتم لاتفعلون، إلا وهو واثق بذلك ويعلم ان ذلك متعذر عندهم وينبغي أن يكون الخطاب خاصا لمن علم الله انه لا يؤمن ولا يدخل فيه من آمن فيما بعد وإلا كان كذبا))(٥٩)

فضلا عما أضافته من تعجيز لأن قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) مبالغة في التعجيز والإفحام ومن غير (لن تفعلوا) لا تتحقق تلك المبالغة المطلوبة التي يستلزمها جواب الشرط (فاتقوا النار) المتضمن مبالغة في الوعيد (٦٠) فضلا عن الـ ((إثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأبدع))(٦١) .

وبعد هذا فهل الجملة اعتراضية ؟. ولعل سؤالا يطرح إذا كان الشك في (إن لم تفعلوا) غير مقصود فلماذا جاء به الله تعالى ؟

ولعل القصد هو أن تكون الأداة لن وما بعدها (لن تفعلوا) مطلوبة لذاتها لتضيف للنص ما ذكرناه من معان أي أن يكون النظم مترابطا فتكون (لن تفعلوا) في موقع تركيبي يستلزم وجودها لأداء المعان المذكورة،وقد قيل :((وإنما أتى بـ (إن) الذي للشك دون (إذا) الذي للوجوب مع أن ظاهر الحال يقتضي ذلك ، تهكما بهم تهكم الواثق بغلبته على من يعاديه ، حيث يقول له : إن غلبتك لم ابق عليك ، أو خطابا معهم على حسب ظنهم ، فإن العجز قبل لم يكن محققا عندهم ، أو حفظا لمشاكلة صدر الآية السابقة .)) (٦٢) أو ((سوقا للكلام على حسب حسبانهم أن معارضته فيها للتهكم ، كما يقوله الواثق بغلبته على من يعاديه : " إن غلبتك " ، وهو يعلم أنه غالبه تهكما به))(٦٣) . لكن السياق ليس سياق تهكم ، لكننا لو جعلنا جملة الشرط ((فإن لم تفعلوا لوحدها من غير جملة (ولن تفعلوا) فان جملة جواب الشرط ((فاتقوا النار)) غير متحقق أي :إنهم غير ملزمين باتقاء النار (الدخول في الإسلام أو ترك العناد أو غيره) لأنهم قد يعارضونه في قابل أيامهم أو في زمن ما غير زمانهم

ذهب كثيرون إلى أن قوله تعالى:((أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون))(هود: ٣٥) جملة اعتراضية (٦٤) بين قوله تعالى ((قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن

كنت من الصادقين ، قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون))(هود:٣٢ - ٣٤) وقوله تعالى ((وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)) (هود: ٣٦) ذاهبين إلى أن الآية ناظرة إلى نبي الإسلام وهو المروي عن مقاتل (٦٥) ورجح بعضهم هذا الرأي لأسباب :

((أولا : إن شبيه هذا التعبير وارد في سورة الأحقاف الآية (٨) في نبي الإسلام

ثانيا : جميع ما جاء في نوح (عليه السلام) في هذه الآيات كان بصيغة الغائب ، ولكن الآية - محل البحث - جاءت بصيغة المخاطب ، ومسألة الالتفات - أي الانتقال من ضمير الغيبة إلى المخاطب - خلاف الظاهر ، وإذا أردنا أن تكون الآية في نوح (عليه السلام) فإن جملة " يقولون " بصيغة المضارع ، وجملة " قل " بصيغة الأمر ، يحتاجان كليهما إلى التقدير !

ثالثا : هناك حديث في تفسير البرهان في ذيل هذه الآية عن الإمامين الصادقين الباقر والصادق (عليهما السلام) يبين أن الآية المتقدمة نزلت في كفار مكة . من مجموع هذه الدلائل نرى أن الآية تتعلق بنبي الإسلام ، والتهم التي

(١٠٠هـ) مما يعني أن رواية القمي غير صحيحة ، وان هذا المروي معارض بروايات أخرى عن الرضا (ع) تذكر ان الآية في نوح (ع) (٧٣) ولا شك أن لا تعارض في التفسير في مدرسة أهل البيت (ع) فهم يأخذون العلم سالف عن سابق حتى رسول الله (ص) ، فضلا عن أن كبار علماء الشيعة وشيوخ الطائفة الشيعية لم يفسروا الآية بما روي عن السجاد (ع) بالرأي المذكور أولا عنه ، وفسروها بأنها في قوم نوح منهم الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) (٧٤) والطوسي (٤٦٠ هـ)(٧٥) الطبرسي (٥٨٤هـ). (٧٦) وغيرهم كثير ، وعلى هذا فإننا لا نميل الى كون قوله تعالى ((ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم)) جملة اعتراضية مما يعني أن هذه الآية لا تصلح دليلا على أن الآية موضوع البحث اعتراضية .

٢ - إن كل النصوص القرآنية التي تحدثت عن الافتراء تختص بالقرآن أي إنها تدفع الافتراء عن القرآن ينظر : ((يونس: ٣٧ ، يونس: ٣٨ ، هود: ١٣ ، الأنبياء: ٥ ، الفرقان: ٤ ، السجدة: ٣ ، الأحقاف: ٨)) وليس في الأحقاف وحدها، وهذا يرجح أن الحديث في الآية محل البحث عن الرسول محمد (ص) على معنى : أم يقولون إن محمدا (ص) افترى القرآن . لكن هل من المعقول أن يتحدث الله سبحانه وتعالى عن اتهام المشركين للرسول محمد (ص) بالافتراء ولا يتحدث عن اتهام المشركين من

وجهت إليه كان من قبل كفار مكة ، وجوابه عليهم)) (٦٦)

وهؤلاء ذهبوا مذهبين في تفسيرها أولهما:معنى الآية: أم يقولون إن محمدا (ص) افترى القرآن

وثانيهما : على معنى: أم يقولون إن محمدا (ص) افترى ذلك الخبر عن نوح ، (٦٧)

ونريد أن نضيف :

١ - روي عن السجاد (ع) في قوله تعالى : ((ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون))(هود: ٣٤) السابق للآية موضوع النقاش انه في العباس بن عبد المطلب وعلى هذا تكون هذه الآية اعتراضية أيضا ولهذه الرواية سندان هما :

أ - سند القمي وهو : حدثني أبي عن حماد بن عيسى (ت ٢٠٨) عن إبراهيم بن عمر اليماني (ت ق٢/ق٣) عن أبي الطفيل (ت ١٠٠ هـ) عن أبي جعفر عليه السلام قال جاء رجل إلى أبى علي بن الحسين عليهما السلام (٦٨)

ب - سند المفيد : وهو : جعفر بن الحسين عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن علي بن إسماعيل ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن الفضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أتى رجل أبي عليه السلام (٦٩)

وفي السندين إبراهيم بن عمر الصنعاني وقد ضعفه بعضهم (٧٠) فضلا عن أن في الرواية رجل مجهول وعليه تدور الرواية ، ثم ان الصنعاني غير معروف الوفاة والولادة وروى عن الامام الكاظم (ع)(١٨٣هـ) والامام الصادق (ع)(١٤٨هـ) وكان من رجالهما (٧١)وهذا يعني انه عاش في القرن الثاني ورجح باحث انه عاش في القرنين الثاني والثالث (٧٢) فكيف يروي عن أبي الطفيل

الأمم السابقة لأنبيائهم مع تشابه أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم

٣ - جاء في قصة يوسف (ع) نفي أن تكون قصص الأنبياء والأمم الغابرة مفتراة وهذا يرجح أن بعض أفراد قريش تحدثوا عن أن ما يذكره الرسول محمد (ص) من قصص هي مفتراة وهذا يرجح أن الحديث في الآية محل البحث عن الرسول محمد (ص) على معنى أم يقولون إن محمدا (ص) افترى ذلك الخبر عن نوح .

وذهب بعضهم إلى أن الآية موضوع البحث واقعة موقع الاعتراض لكنه جعلها ناظرة إلى نبي الإسلام (ع)، قال السيد الطباطبائي (١٤١٢هـ): ((والآية واقعة موقع الاعتراض ، والنكتة فيه أن دعوة نوح واحتجاجاته على وثنية قومه وخاصة ما أورده الله تعالى في هذه السورة من احتجاجه أشبه شيء بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واحتجاجه على وثنية أمته ... ولهذه المشابهة والمناسبة ناسب أن يعطف بعد ذكر حجج نوح عليه السلام في إنذاره قومه بأمر من الله سبحانه على ما اتهموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورموه بالافتراء على الله ، وهو لا ينذرهم ولا يلقى إليهم من الحجج إلا كما أنذر به نوح عليه السلام وألقاه من الحجج إلى قومه))(٧٧) .

وذهب بعضهم إلى أن الآية في نوح وقومه واليه ذهب ابن عباس (٧٨) .

ويظهر أن الذي سبب هذين الاحتمالين تشابه حالي الرسول محمد (ص) مع نوح (ع) لتشابه ما وقع به الرسولان الكريمان فكل منهما كذبه قومه بعد ان دعاهم وآذوه فالآية تصلح مع نوح (ع) ومع محمد (ع) و مما أوقع المفسرين في هذين الاحتمالين أن الرسائل السماوية واحدة فدين نوح (ع) ودين محمد (ص) واحد بدليل نصوص قرآنية يظهر فيها أن نوحا (ع) قال لقومه كلاما

يشبه تماما ما قاله الرسول محمد (ص) لقومه(٧٩) ، ولهذا فما جاء في الآية من صميم الرسالتين اللتين هما في الحقيقة رسالة واحدة فالكلام يصلح للأمتين والنبيين ويشعر المشرك عندما يسمع هذه الآيات انه المقصود بالخطاب فيكون تأثير النص اقوى وابلغ

ويظل السؤال مطروحا أن الآية صريحة في الخطاب لمحمد (ص) بدلالة الفعل (يقولون ، قل) وهو قرينة قاطعة على أن الخطاب لمحمد (ص) فما هو القول ؟

نقول إن القرآن مليء بالالتفات من الغيبة إلى الحضور أو الخطاب وغيره(٨٠) وان القرآن التفت في هذا النص من الغائب الى المخاطب حتى يشعر المشرك انه مقصود بالخطاب وفي الوقت ذاته يكون المقصود بالخطاب قوم نوح ومما حسن هذا الالتفات تشابه الحالين بين القومين والنبيين عليهما السلام .

و يتبين مما عرضناه أن المرجحات متعادلة فإذا كان السياق محددا دلاليا وحاكما على النص فان السياق يقتضي أن تكون في نوح (ع) وقومه ولا اعتراض .

وطالما تمسك الذين ما إن وجدوا جملة في النص القرآني لم يستطيعوا أن يربطوا معناها بما قبلها بالقول : ((أن الجملة الاعتراضية ليست كلاما لا علاقة له بأصل القول ، بل غالبا ما تأتي الجمل الاعتراضية لتؤكد بمحتواها مفاد الكلام وتؤيده ... وبالطبع فإن الجملة

.)) (٨٨) لأن الذين من بعد قوم نوح وعاد وثمود قد اخبر الله عنهم في القرآن أخباراً كثيرة ثم إن قوله تعالى ((الذين من بعدهم)) قول شامل لكل قوم بعد نوح وعاد وثمود فهل يعقل أن لا يعلم قوم محمد عن آبائهم وأجدادهم او هل يعقل ان لا تعلم الأقوام المجاورة عن آبائها وتاريخها وأنسابها وأحوال أجدادهم وهم أقوام ذوو حضارة وتاريخ كالروم الفرس والمصريون القدماء (الفراعنة)

أما الرأي الثاني الذي يجعل جملة ((والذين من بعدهم)) معطوفة على قوم نوح وجملة ((لا يعلمهم إلا الله)) اعتراض فهو فاسد أيضا لأن الاعتراض لابد أن يتعلق دلاليا بما قبله أو بعده ويأتي لغرض وجملة ((لا يعلمهم إلا الله) عندئذ غير متعلقة بما قبلها أو بعدها وكأنها مقطوعة عن النص ودخيلة عليه ولغوا فيه وهذا لا يجوز على النص القرآني ويكون المعنى على وفق رأيهم : (الم يأتكم نبأ أقوام (نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) - لا يعلمهم إلا الله - جاءتهم رسلهم بالبينات) . ومنه يظهر أن لافائدة دلالية من وجود جملة (لا يعلمهم إلا الله) .

ولو فرضنا صحة ما ذهب إليه الكثيرون من أن معنى الآية : إن حالهم أو عددهم أو كثرتهم أو هلاكهم أو أمورهم او عمرهم او صفاتهم لا يعلمها إلا الله (٨٩) فسيكون المعنى (الم يأتكم نبأ أقوام (نوح وعاد وثمود

الاعتراضية لا يمكن أن تكون أجنبية عن الكلام بتمام المعنى ، وإلا فتكون على خلاف البلاغة والفصاحة))(٨١) ، وقالوا : ((ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه)) (٨٢) ولطالما قالوا :إن ((الجملة الاعتراضية ما يتوسط بين أجزاء الكلام متعلقا به معنى مستأنفا لفظا على طريق الالتفات)) (٨٣) غير أنهم عجزوا عن أن يطبقوا ما قالوه على قوله تعالى : :((أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون)) (هود: ٣٥) فقالوا عنها :((وإنما ينقطع ارتباط الكلام أحيانا لتخف على المخاطب رتابة الإيقاع وليبعث الجدة واللطافة في روح الكلام))(٨٤) وهذا يعني أن الآية موضوع الحديث لا ترتبط دلاليا بالنص الذي هي فيه ، وهذا يتنافى مع بلاغة القرآن ولا ينطبق عليه شرط الجملة الاعتراضية المذكور انفا الذي طالما تمسكوا به ، وهذا يبين صحة ما ذهبنا إليه من كون الآية ليست اعتراضية .

وجعل كثيرون قوله تعالى ((لا يعلمهم إلا الله)) من قوله تعالى :((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب))(إبراهيم: ٩) خبرا عن (والذين من بعدهم)(٨٥)على عدهما جملة اعتراضية متكونة من مبتدأ وخبر(٨٦) أو أن((والذين من بعدهم)) معطوفة على قوم نوح و ((لا يعلمهم إلا الله)) جملة اعتراضية (٨٧)

والرأي الأول ظاهر الفساد قال الطباطبائي(١٤١٢ هـ)((وأما احتمال أن يكون خبرا لقوله (والذين من بعدهم) كما ذكره بعضهم فسخافته ظاهرة ، وأسخف منه تجويز بعضهم أن يكون حالا من ضمير (من بعدهم) وكون قوله (جاءتهم رسلهم) خبرا لقوله (والذين من بعدهم)

والذين من بعدهم) التي لا يعرف أحوالهاأو عددها أو... إلا الله . أليس هذا المعنى فاسدا بعد ان اخبر الله نبيه (ع) عن كثير من تلك الأحوال وطريقة الهلاك .. الخ مما اخبر الله به نبيه (ع) ثم الم يخبر الله نبيه ببعض أحوال تلك الأمم في الآية نفسها فقال تعالى : ((جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب))(إبراهيم: ٩) ألا يعد هذا تناقضا مع ذلك التفسير ، ثم ألم يبدأ الله كلامه عن قوم (نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) بقوله : ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم)) وهذا استفهام تقريري أي أن الله يحمل نبيه (ع) وقومه على الاعتراف بأمر قد استقر عندهم ، وهو نبأ تلك الأقوام فكيف يعود ويقول (لا يعلمهم الا الله) على معنى : إن حالهم أو عددهم أو كثرتهم أو هلاكهم أو أمورهم لا يعلمها إلا الله أ ليس هذا تناقضا (٩٠)، ألايعني هذا أن معنى (لا يعلمهم إلا الله) غير ما ذكره الكثيرون من المفسرين الا يعد قوله تعالى : ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم)) قرينة لفظية صريحة في ان نبا تلك الأقوام المذكورة في الآية قد أتي به إلى رسول الله (ص) ولهذا فان المعنى المناسب لقوله تعالى (لا يعلمهم الا الله) أي كثيرون (٩١) ويكون معنى النص (الم يأتك نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كثيرون جاءتهم رسلهم وعندئذ لا يوجد اعتراض في النص

ويظل السؤال مطروحا ما الدليل على أن (لا يعلمهم إلا الله) بمعنى كثيرون ؟وللإجابة نقول : إن القرآن نسق لغته وأساليبه على لغة العرب وأساليبهم وان هذا الاسلوب مستعمل في لغة العرب بمعنى كثيرون فقد جرى على اقلام المؤلفين والكتاب بهذا المعنى .جاء في البداية والنهاية متحدثا عن معركة ((وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد

القارئ وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله))(٩٢) قال ابن الأثير (٦٣٠ هـ) ((قد وصل الأعور الصيني إلى حدود كاشغر في عدد كثير لا يعلمهم إلا الله فاستعد له صاحب كاشغر وهو الخان أحمد بن الحسن وجمع جنوده فخرج إليه))(٩٣) ، وجاء في البداية والنهاية : ((في المحرم ... اعترض القرمطي أبو طاهر الحسين بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله ، ولعن أباه . للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدوا فرض الله عليهم ، فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم ، فقتل منهم خلقا كثيرا لا يعلمهم إلا الله ،))(٩٤)

إن ما ذكرناه يعني أن كثيرا من النصوص القرآنية ما كان من المفترض أن تعد جملا اعتراضية ، وإنما جاء القول باعتراضيتها من فهم المتلقي (النحوي و المفسر) الخاص للنص القرآني وهو خاضع لمذهب المفسر أو النحوي أو البياني وتكوينه الثقافي وهذا لا يعني أننا ننكر القول بوجود الجملة الاعتراضية في النص القرآني فقوله تعالى ((والله اعلم بما وضعت) بقراءة من اسكن التاء وفتح العين من وضعت (٩٥) من قوله تعالى :

((فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وَضَعَتْ وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)) (آل عمران:

٣٦)جملة اعتراضية ،صادرة من الله تعالى لكنها بقراءة من ضم التاء وأسكن العين من (وضعت) ليست جملة اعتراضية وتكون محكية عن لسان من مريم (ع) (٩٦)

الخاتمة :

تبين من البحث أن التذييل والتكميل في النص القرآني لا يعد اعتراضا ، حتى وان ذهب إليه بعضهم ، متوسعا في الاعتراض ، وان التوسع في القول في الاعتراض في النص القرآني نابع من الثقافة الشخصية لدارس النص القرآني ، وان بعض المفسرين كانوا مقلدين لسابقيهم من غير تدقيق فكرروا ما قالوه ، دون دراسة وتمعن ، وان اقتطاع النص من سياقه في كثير من النصوص القرآنية دفع المفسر إلى القول باعتراضيته ، غير أن دراسته في سياقه ، وربط معناه بما بعده وما قبله دفعنا إلى استبعاد كونه اعتراضا .

الهوامش

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٧١

(٢) ينظر : جوهر الكنز : ١٢٩، والإيضاح في علوم البلاغة :١٩٤/١ومغني اللبيب :٥٠٦/١ والبرهان في علوم القرآن:٥٦/٣ وهمع الهوامع :٣٢٧/٢ و إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٦٧ والجملة العربية تأليفها وأقسامها :٢١٦ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة :١٩٧/١ والبرهان في علوم القرآن :٥٦/٣ والإتقان في علوم القرآن :٢٠١/٢ وخزانة الأدب :٤٤/٢ و٤٢٤/٣ و٤٤٥/٥

(٤) البرهان في علوم القرآن :٥٦/٣ والإتقان في علوم القرآن :٢٠١/٢ .

(٥) همع الهوامع :٣٢٧/٢ و٣٣١/٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن :٥٦/٣ والإتقان في علوم القرآن :٢٠١/٢ وخزانة الأدب :٤٢٤/٣ وأطال الزركشي في ذكر دلالاتها ينظر : البرهان في علوم القرآن :٥٧/٣ ـ ٥٩ .

(٧) مغني اللبيب :٥٠٦/١ وهمع الهوامع :٣٢٧/٢ وإعراب الجمل وأشباه الجمل : ٦٧.

(٨) مغني اللبيب :٥٠٦/١.

(٩) البرهان في علوم القرآن :٥٦/٣.

(١٠) الإيضاح في علوم البلاغة :١٩٧/١

(١١) الكشاف :٣١٤/١ ، ١/ ٥٦٦ ، ٣/ ٢٦٤، و تفسير الآلوسي : ٦ / ١٦٤ ـ ١٦٥

(١٢) تفسير جوامع الجامع : ١ /١٥٣ ـ ١٥٤

(١٣) تفسير أبي السعود : ٣ / ٥٢

(١٤) ينظر : تفسير الآلوسي : ١٦٤/٦ ـ ١٦٥ ، ٩/٢٤ـ١٠ تفسير كنز الدقائق :١ / ٣٤٨

(١٥) تفسير ابي السعود : ٣ / ٥٢ تفسير الآلوسي : ٦ / ١٦٤ – ١٦٥

(١٦) تفسير الرازي:١٧٨/٢٤ وينظر : الكشاف:١٣٥/٣– ١٣٦ وتفسير البيضاوي :٢٥٨/٤ وتفسير أبي السعود :٢٧٢/٦

(١٧) تفسير الرازي :٥٨/١١ وينظر: تفسير النسفي:٢٥٠/١ –٢٥١ والكشاف:١/ ٥٦٦ وتفسير جوامع الجامع :٤٤٤/١–٤٤٥ وتفسير أبي السعود : ٢ /٢٣٦ وخزانة الأدب : ٩ / ٥٢٦

(١٨) الكشاف: ١ / ٥٠٩

(١٩) تفسير البحر المحيط : ١٧٠/٢

(٢٠) ينظر : الكشاف :٣٥٢/٣

(٢١) تفسير البحر المحيط : ٧ /٥١ ـ ٥٢

(٢٢) إعراب الجمل وأشباه الجمل : ٦٩ ـ ٧٠

(٢٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٤٧٢/٥ تفسير أبي السعود : ٥ /١٠٩ تفسير الآلوسي : ١٤/ ١٢٨ـ ١٢٩

(٢٤) تفسير أبي السعود : ٥ / ١٠٩ تفسير الآلوسي : ١٤ / ١٢٨ – ١٢٩

(٢٥) ينظر : جامع البيان : ١٤ / ١٣٢ ـ ١٣٣

(٢٦) تفسير النسفي : ٣ / ٣١١ والكشاف : ٢٦٩/٣ وتفسير البحر المحيط : ٢٣٤/٧ وتفسير أبي السعود : ٧/ ١١٠ والتفسير الصافي : ٦ / ٥٧ ، ٤ / ١٩٧ ـ ١٩٨ التفسير الأصفى : ٢ /٩٩٨ تفسير الآلوسي : ٢٢ / ٦١

(٢٧) معاني القرآن : ٥ / ٣٦٣

(٢٨) تفسير الميزان : ١٦ / ٣٣٥

(٢٩) جامع البيان : ٢٢ /٢٩ ـ ٣٠

(٣٠) تفسير ابن زمنين : ٣ / ٣٤٣ و تفسير الثعلبي : ٧ / ٢٧٤ – ٢٧٥ وتفسير السمعاني : ٤ / ١٧٣ – ١٧٤ وتفسير البغوي : ٣ / ٤٦٣ و تفسير الميزان : ١٦ /١١٦

(٣١) جامع البيان : ٢٠ / ١٧١ وتفسير ابن ابي حاتم : ٩ / ٣٠٤٥ وتفسير النسفي : ٣ / ٢٥٤ الكشاف : ٣ / ٢٠١ – ٢٠٢ تفسير ابن كثير : ٣ / ٤١٩ والبرهان في علوم القرآن : ٣ / ٦٣ و تفسير الآلوسي : ١٢ /٤٨ و ٢٠ / ١٤٥ وينظر: تفسير القمي : ١ / ٩ ،و تفسير مجمع البيان : ٨ / ١٦ ، زاد المسير: ١٢٦/٦

(٣٢) منها قوله تعالى: ((قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين)) (آل عمران: ٩٥)((ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا)) (النساء: ١٢٥) ((قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين)) (الأنعام: ١٦١) وغيرها .
(٣٣) تفسير مجمع البيان : ٢ / ١٧٨ و تفسير الميزان : ٣٧٩/ ٢
(٣٤) بحار الأنوار : ٣٠ / ١٤٠ - ١٤١
(٣٥) ينظر : تفسير الثعلبي : ٧ / ٢٧٤ - ٢٧٥ تفسير السمعاني : ٤ / ١٧٣ - ١٧٤ الكشاف: ٣ / ٢٠٢تفسير القرطبي : ١٣ / ٣٣٦ فتح القدير : ١٩٧/٤
(٣٦) في سورة الأنعام : ١١ ، النمل ٦٩ ، الروم ٤٢
(٣٧) تفسير البيضاوي : ٤ /٢٨٣ و تفسير أبي السعود : ٧ / ٤ وفتح القدير : ٤ / ١٦٠
(٣٨) تفسير أبي السعود : ٧ / ٤
(٣٩) ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار :٥٠/١ و التبيان في تفسير غريب القرآن :٨٤/١
(٤٠) المفردات في غريب القرآن :٣٠/١
(٤١) التبيان في تفسير غريب القرآن :٨٤/١
(٤٢) ينظر : جامع البيان :٤١/٢٠ و الكشاف ١٦٦/٣
(٤٣) تنوير المقباس : ٣٢٣

(٤٤) تفسير البحر المحيط : ٣ / ٣٨٠ وتفسير الآلوسي : ٥ / ١٦٢ وفتح القدير : ٥٢١/١
(٤٥) تفسير البحر المحيط : ٣ / ٣٨٠
(٤٦) فتح القدير : ١ / ٥٢١
(٤٧) تفسير الآلوسي : ٥ / ١٦٢
(٤٨) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :٢ / ١٢٠ وتفسير السمعاني : ٥ / ٤٥٥
(٤٩) تفسير الآلوسي : ٥ / ١٦٢
(٥٠) تفسير مقاتل بن سليمان : ١ / ٢٦١ ، وجامع البيان : ٤٢٠/٥ -٤٢١ ، وتفسير ابن ابي حاتم :١٠٨٠/٤– ١٠٨١ وتفسير القمي :١٥٤/١– ١٥٥ ، والتبيان : ٣٤٧/٣، والكشاف: ٥٦٨/١، وفقه القرآن :١٩١/٢، وتفسير كنز الدقائق : ٢ / ٦٤١ – ٦٤٣
(٥١) تنوير المقباس : ٥، والتبيان :١٠٦/١- ١٠٧، وتفسير النسفي :٢٩/١، والكشاف: ٢٤٨/١– ٢٤٩ ، والحاشية على الكشاف : ٢٤٧، وتفسير مجمع البيان :١٢٨/١ ، وتفسير الرازي : ١٢١/٢ ، وتفسير ابن عربي : ٤٢/١، والتسهيل لعلوم التنزيل : ٤١/١ – ٤٢، وتفسير البحر المحيط :٢٤٩/١ ،والبرهان :٥٦/٤ – ٥٧ ، وتفسير كنز الدقائق :١٨٣/١ .
(٥٢) تفسير مجمع البيان : ١ / ١٢٨
(٥٣) البرهان : ٤ / ٥٦ - ٥٧ وينظر : تفسير كنز الدقائق: ١ / ١٨٣
(٥٤) تفسير النسفي : ١ / ٢٩
(٥٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١ / ١٢٣
(٥٦) تفسير الرازي : ٢ / ١٢٠
(٥٧) الكشاف: ١ /٢٤٨ – ٢٤٩ وينظر تفسير أبي السعود : ١ / ٦٧
(٥٨) تفسير النسفي : ١ / ٢٩
(٥٩) التبيان : ١ / ١٠٦ – ١٠٧
(٦٠) ينظر : البرهان : ٢ / ١١٠ - ١١١
(٦١) تفسير البحر المحيط : ١ / ٢٤٨
(٦٢) تفسير كنز الدقائق : ١ / ١٨٣
(٦٣) البرهان : ٤ / ٥٦ – ٥٧
(٦٤) تفسير البحر المحيط :٢٢٠/٥،وتفسير ابن كثير :٤٦٠/٢، والتفسير الأصفى:٥٣٧/١ ،والتفسير الصافي:٤٤١/٢–٤٤٢ و تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : ٣٨١ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٦ / ٥٢٦ – ٥٢٨.
(٦٥) ينظر : تفسير الثعلبي : ٥ / ١٦٦ و تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩
(٦٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٢٧/٦
(٦٧) جامع البيان : ١٢ / ٤٣ التبيان : ٥ / ٤٨٠. تفسير مجمع البيان : ٥ / ٢٦٩ تفسير القرطبي : ٩ /٢٩
(٦٨) تفسير القمي : ٢/ ٢٣
(٦٩) الاختصاص : ٧١-٧٢
(٧٠) موسوعة مؤلفي الإمامية : ١ / ٣٣٢
(٧١) الذريعة : ٢ / ١٣٧
(٧٢) موسوعة مؤلفي الإمامية : ١ / ٣٣٢

(٧٣) المحاسن ٢٤٤/١،وقرب الإسناد : ٣٥٩ ، وتفسير العياشي :١٤٣/٢، وبحار الأنوار : ٥ / ٥ ، ٥/ ٢٠٧ و ٥ / ١٢٢ ومستدرك سفينة البحار : ٨ / ٤٢٨ - ٤٢٩ ومسند الإمام الرضا (ع) : ١ / ٣٤٢
(٧٤) الأمالي : ١٥٦/٤
(٧٥) التبيان :٤٧٨/٥
(٧٦) مجمع البيان : ٥/ ٢٦٨
(٧٧) تفسير الميزان : ١٠ /٢١٨ - ٢١٩
(٧٨) ينظر : تفسير الثعلبي : ٥ / ١٦٦ و تفسير القرطبي : ٩ / ٢٩
(٧٩) يشبه ما جاء في الأنعام الآية ٤٨- ٥٣ ، ينظر : تفسير الميزان : ١٠ / ٢١٨ - ٢١٩
(٨٠) ينظر الثبت التفصيلي بموضع الالتفات في القرآن الكريم ، في كتاب أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ١٧١-٢٢٨
(٨١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٢٧/٦
(٨٢) الكشاف : ١ / ٥٠٩ ،وفتح القدير :٤٣٣/١ – ٤٣٤ وينظر : الكشاف: ٢٠١/٣ وتفسير الآلوسي :٢٤/ ٩– ١٠
(٨٣) تفسير الآلوسي : ٢٤ / ٩
(٨٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٢٧/٦
(٨٥) جامع البيان :٢٤٤/١٣ – ٢٤٥ ،وتفسير الثعلبي :٣٠٧/٥ ، وتفسير الواحدي :٥٧٩/١، وتفسير السمعاني :١٠٦/٣وتفسير البغوي :٢٧/٣ ،وتفسير القرطبي:٣٤٤/٩-٣٤٥ ، وتفسير الرازي :٨٨/١٩- ٨٩ ، وتفسير الجلالين :٣٣٠ وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنان :٤٢٢ ، وأضواء البيان :٨٠/٣

(٨٦) تفسير النسفي :٢٢٤/٢ـ ٢٢٥ ،والكشاف:٣٦٨/٢ ، وتفسير جوامع الجامع :٢٧٥/٢ ،وتفسير مجمع البيان :٦١/٦ وتفسير البيضاوي : ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، وتفسير أبي السعود : ٥ / ٣٦ ، وفتح القدير : ٣ /٩٦ ـ ٩٧ ، وتفسير الآلوسي : ١٣ / ١٩٢ ، و بحار الأنوار : ١١ / ١٤ ـ ١٥

(٨٧) تفسير النسفي : ٢٢٤/٢ـ ٢٢٥ والكشاف:٣٦٨/٢ وتفسير جوامع الجامع : ٢٧٥/٢ وتفسير مجمع البيان : ٦١/٦ وتفسير البيضاوي :٣٣٩/٣ ـ٣٤٠ وتفسير أبي السعود:٣٦/٥ وفتح القدير :٩٦/٣ـ ٩٧،وتفسير الآلوسي:١٩٢/١٣ وبحار الأنوار : ١١ / ١٤ ـ ١٥

(٨٨) تفسير الميزان : ١٢ / ٢٤.

(٨٩) التبيان :٢٧٨/٦ ، وتفسير النسفي :٢٢٤/٢ـ ٢٢٥ ، والكشاف: ٢ / ٣٦٨ ، وتفسير مجمع البيان : ٦ / ٦١ تفسيرجوامع الجامع :٢٧٥/٢، وتفسير البيضاوي:٣٣٩/٣ ـ٣٤٠،وتفسير أبي السعود : ٣٦/٥ ،وبحار الأنوار :١٤/١١ـ ١٥ وينظر : جامع البيان : ٢٤٤/١٣ـ ٢٤٥، وتفسير ابن زمنين : ٣٦٣/٢ ، وتفسير الواحدي :١/ ٧٩ ، وتفسير الرازي :١٩/ ٨٨ ـ ٨٩ ، وتفسير القرطبي :٩ /٣٤٤ ـ ٣٤٥ ،وتفسير الجلالين :٣٣٠ ،والتفسير الصافي:٣ /٨١ ، وفتح القدير : ٣ / ٩٦ ـ ٩٧

(٩٠) من الغريب ان يذهب المفسرون الى ان معنى لا يعلمهم الا الله : ان حقيقة حالهم وعدم الإحاطة بتفاصيل تاريخ حياتهم لا يعلمها الا الله ولنا ان نقول هل ان حال تلك الأقوام أو عددهم أو كثرتهم أو هلاكهم أو أمورهم او تاريخ حياتهم مهمة في الرسالة المحمدية حتى يدونها الله بآية من آيات كتابه .

(٩١) قال الغرناطي الكلبي (((لا يعلمهم إلا الله) * عبارة عن كثرتهم كقوله وقرونا بين ذلك كثيرا)) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢ / ١٣٨ وقال ابن عطية الأندلسي ((وقوله * (لا يعلمهم إلا الله) * من نحو قوله * (وقرونا بين ذلك كثيرا)) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٣ / ٣٢٦ .

(٩٢) البداية والنهاية : ٧ /٥٤ وللاستزادة ينظر : السيرة النبوية : ١/ ٣ والفتوحات المكية :٣ /٢٢٩ والبداية والنهاية : : ١١ / ١٨٩ ، ٧ / ٣٠١ ، ١٠ / ٣٥٨ ، ١١ / ١٨٩ ، ١١ / ٣٠٤ ،٨٩/١٣ والسلوك لمعرفة دول الملوك:٤٥٦/١ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :٢٩٩/١٤ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب :٢٨٨/٥ ، و المزهر في علوم اللغة والأدب :٣٠/١

(٩٣) الكامل في التاريخ : ١١ / ٨٣ وينظر : نفسه : ٥٤٨/١١ .

(٩٤) البداية والنهاية : ١١ / ١٧٠

(٩٥) والسبعة في القراءات : ٢٠٤ والحجة في القراءات السبع : ١٠٨ والتيسير في القراءات السبع :٨٧

(٩٦) وينظر : الحجة في القراءات السبع : ١٠٨ والكشاف : ٤٢٦/١ .

<u>قائمة المصادر والمراجع :</u>

١ ـ الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) . تحقيق : سعيد مندوب ، ط : ١ ، دار الفكر ، لبنان ،١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م .

٢ـ الاختصاص : أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ). صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري ، رتب فهارسه : السيد محمود الزرندي المحرمي ،دار المفيد للطباعة والنشر،بيروت ، لبنان،١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.

٣ ـ أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : الدكتور حسن طبل طبع دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٨هـ = ١٩٨٨ م

٤ ـ إعراب الجمل وأشباه الجمل :د. فخر الدين قباوة ، ط٥ ، دار القلم العربي للطباعة والنشر والتوزيع حلب سورية ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

٥ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،: محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي.(ت١٣٩٣هـ)
تحقيق: مكتب البحوث والدراسات دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت. لبنان ،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦ ـ الأمالي : محمد بن محمد بن زيد بن علي (ت ٤٣٦ هـ) السيد المرتضى .تصحيح وتعليق: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي.ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ،د،م،١٣٢٥هـ ـ١٩٠٧م

٧ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي .د.ت ، د.م

٨ ـ الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق :
الشيخ بهيج غزاوي ، ط : ٤ ،دار إحياء العلوم ، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م .

٩ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ).تحقيق : عبد الزهراء العلوي ، نشر دار الرضا (ع) . بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٠ ـ البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) .تحقيق: علي شيري ،ط: ١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١١ ـ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ هـ) . تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم .ط١، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه . ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧ م

١٢ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن : تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥ هـ)
تحقيق: فتحي أنور الدابلوي . ط١ ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٣ ـ التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي . ط١ ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، إيران ، ١٤٠٩ هـ .

١٤ ـ التسهيل لعلوم التنزيل : أبو عبد الله محمد القاسم ابن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت ٧٤١ هـ) ط٤ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م

١٥ ـ التفسير الآصفى:محمد محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ).تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية .ط١ ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ،ايران ، ١٤١٨ ـ ١٣٧٦ ش
١٦ ـ تفسير الآلوسي المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د، ت
١٧ ـ تفسير ابن ابي حاتم : عبد الرحمن بن محمد بن ادريس ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) تحقيق : أسعد محمد الطيب . نشر المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، د، ت
١٨ ـ تفسير ابن زمنين : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت٣٩٩ هـ) . تحقيق : أبي عبد الله حسين بن عكاشة ،محمد بن مصطفى الكنز.ط١، مطبعة الفاروق الحديثة ، مصر،١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
١٩ ـ تفسير ابن عربي : أبو بكر محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ) .تحقيق: عبد الوارث محمد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
٢٠ ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن الكريم): أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تقديم :يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة،بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م .

٢١ ـ تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد أبي السعود العمادي (ت ٩٥١ هـ) . طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٢ ـ تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). تحقيق :الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمدالنجولي الجمل ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١م
٢٣ ـ تفسير البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٦ هـ) .تحقيق : خالد عبد الرحمن العك مطبعة بيروت ـ دار المعرفة ، بيروت ، د، ت .
٢٤ ـ تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٢ هـ)،طبع دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ت
٢٥ ـ تفسير الثعلبي : أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) . تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، ط : ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢ م .
٢٦ ـ تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ) و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي . قدم له وراجعه : مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان .
٢٧ ـ تفسير جوامع الجامع : أبو العلي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٨٤هـ).تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي .ط١ ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، ١٤١٨هـ
٢٨ ـ تفسير السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩ هـ) تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم . ط١ ، مطبعة السعودية ـ دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨ ـ ١٩٩٧م .
٢٩ ـ التفسير الصافي : محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) . مطبعة مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ١٤١٦ ـ ١٣٧٤ ش
٣٠ ـ تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، نشر المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، ايران ، د، ت .
٣١ ـ تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق : صدقي جميل العطار . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م .
٣٢ ـ تفسير القرطبي :أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ). تحقيق: احمد عبد العليم البردوني . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.
٣٣ ـ تفسير القمي : أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) .صححه وعلق عليه : السيدطيب

الموسوي الجزائري، ط : ٣،دار الكتاب للطباعة والنشر،قم ،إيران ، ١٤٠٤ هـ .
٣٤ ـ التفسير الكبير:فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٤هـ).ط:١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٣٥ ـ تفسير كنز الدقائق : الميرزا محمد المشهدي (ت ١١٢٥ هـ) . تحقيق :الحاج آقا مجتبى العراقي. نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤٠٧ هـ
٣٦ ـ تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن :أبو العلي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٨٤هـ).تحقيق :لجنة من العلماء والمحققين ، قدم له: السيد محسن الأمين ، ط:١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٧ ـ تفسير مقاتل بن سليمان : مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) تحقيق : أحمد فريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،: ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣م
٣٨ ـ تفسير الميزان : السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـ) . منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية . قم المقدسة ، د، ت .
٣٩ ـ تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت ٥٣٧هـ) د، م . د، ت
٤٠ ـ تفسير الواحدي المسمى الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت

٤٦٨ هـ) . تحقيق: صفوان عدنان داوودي . ط١ ، دار القلم ، الدار الشامية ـ دمشق ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ
٤١ ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د، ت
٤٢ ـ التيسير في القراءات السبع :أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ). تحقيق: اوتوتريزل . ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان . ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
٤٣ ـ تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) تحقيق : ابن عثيمين . طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠م
٤٤ ـ الجملة العربية تأليفها وأقسامها :د. فاضل صالح السامرائي . منشورات المجمع العلمي، بغداد،١٩٨٨م
٤٥ ـ جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة) : نجم الدين احمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ) . تحقيق : د. محمد زغلول سلام، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر ، (د.ت) .
٤٦ ـ الحاشية على الكشاف : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت ٥٣١هـ) .شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م
٤٧ ـ الحجة في القراءات السبع : الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) . ط٤ ، تحقيق :

د. عبد العال سالم مكرم نشر دار الشروق ، بيروت ،١٤٠١هـ .
٤٨ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر عمر البغدادي(ت١٠٩٣هـ) . تحقيق : محمد نبيل طريفي ، أميل يعقوب ، ط : ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٨ م .
٤٩ ـ الذريعة : آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ) . ط٣ ، نشر دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م
٥٠ ـ زاد المسير: عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).تحقيق : محمد بن عبد الرحمن ا عبد الله . ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م
٥١ ـ السبعة في القراءات :أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت٢٤٥هـ) . تحقيق: شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٤٠٠هـ.
٥٢ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) . تحقيق: محمد عبد القادر عطا . ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٣ ـ السيرة النبوية : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ) . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ م

٥٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت ١٠٨٩ هـ) . تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط . ط١ ، نشر دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤٠٦هـ .
٥٥ ـ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد المدائني (ت٦٥٦هـ) . تحقيق :محمد أبي الفضل إبراهيم، ط:١ ،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وإخوانه،١٣٧٨هـ ـ١٩٥٩م.
٥٦ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت ، لبنان . د، ت
٥٧ ـ الفتوحات المكية : أبو بكر محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨هـ). دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت
٥٨ ـ فقه القرآن : سعيد بن هبة الله بن الحسن القطب الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) : تحقيق : السيد أحمد الحسيني . ط٢ ، نشر مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي ، النجف ، ١٤٠٥ هـ .
٥٩ ـ قرب الإسناد : عبد الله بن جعفر الحميري القمي (ت ٣٠٠ هـ) . تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . ط١ ، مطبعة مهر ، قم المقدسة ، ١٤١٣ هـ
٦٠ ـ الكامل في التاريخ : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير(ت ٦٣٠ هـ) . دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

٦١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويلات :أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م
٦٢ ـ المحاسن : أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ) تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني . نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٧٠ هـ ـ ١٣٣٠ ش
٦٣ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٦هـ). تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣ م .
٦٤ ـ المزهر في علوم اللغة والأدب : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) . تحقيق: فؤاد علي منصور . ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .
٦٥ ـ مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي النمازيالشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ) . تحقيق : الشيخ حسن بن علي النمازي ،نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ .
٦٦ ـ مسند الإمام الرضا (ع) : الشيخ عزيز الله عطاردي . تحقيق : الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني . مطبعة مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي ، قم المقدسة ، ١٤٠٦ هـ .

٦٧ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى المالكي.(ت٥٤٤ هـ): نشر المكتبة العتيقة ودار التراث
٦٨ ـ معاني القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني . ط١ ، نشر جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩ هـ
٦٩ ـ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) .ط٢ ،

نشر دفتر نشر الكتاب د، م ، ١٤٠٤ هـ
٧٠ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ). تحقيق: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله ، ط٦ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م .
٧١ ـ موسوعة مؤلفي الإمامية : تأليف مجمع الفكر الإسلامي.ط١ ، مطبعة شريعت ،قم المقدسة،١٤٢٠هـ
٧٢ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د،ت
٧٣ ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، نشر المكتبة التوفيقية ، مصر، د.ت